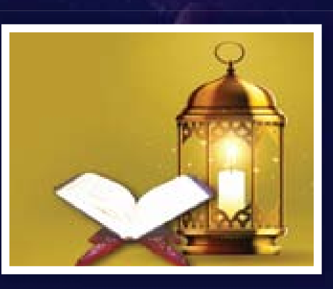


العدد ١٠١٣ - الاثنين ٥ ذو القعدة ١٤٤٠هـ - الموافق ٨/٧/٢٠١٩م

خطر داهم يهدد العقيدة والأخلاق الإسلامية والسلوك

الأبناء والإدمان الالكتروني





الرد على متهمي السلفية بالتعصب



العلماء ومواجهة التصوف في السودان



فلسطين قضية المسلمين الأولى

قال -تعالى-: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٢١٧).

تفتقت أذهان قوى الغرب عن خطة تضمن لهم تصفية القضية الفلسطينية إلى الأبد ونقل ملكيتها إلى اليهود الذين تداعوا إلى احتلالها وطرد أهلها منها؛ فوضعوا خطة أسموها (صفقة القرن)، يتم بموجبها تجهيز مساحة من الأرض لتوطين الفلسطينيين فيها وطردهم من الأماكن المقدسة، مثل: القدس والمسجد الأقصى ومسجد الصخرة وأغروهم بالوعود المعسولة ومنها: إصلاح تلك الأراضي البديلة؛ وتطوير بنيتها التحتية، وشق الطرق، وإنشاء المطارات والموانئ فيها، وإغداق الخيرات على أهلها لكي لا يحزنوا على ما فاتهم، ولكي ينتقلوا من حالة البؤس والشقاء التي يعيشونها اليوم تحت ظل الاحتلال الإسرائيلي إلى حالة الانفتاح ورغد العيش!

وبعد أن انتهوا من إعلان تهويد أرض فلسطين ثم نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، ثم ضم المستوطنات وإعلان هضبة الجولان أرضا لإسرائيل، ولم يبق إلا الخطوة الأخيرة وهي تطبيق (صفقة القرن) ليصادروا ما تبقى من أرض فلسطين وحرمان أهلها من السكن فيها!

لقد بذلوا جهودا كبيرة من أجل تنظيم ورشة ضمت عشرات الوفود من أقطار العالم، وحاولوا إقناع كل من استطاعوا لمساعدتهم في تبني صفقة القرن.

ولكن لم يستجب لهم إلا قليل من الناس، بينما رفض الكثيرون الاستجابة لهم وعلى رأسهم الشعب الفلسطيني والقيادات الفلسطينية التي تدرك حقيقة تلك الدعوة المشبوهة التي جربت الاحتلال الإسرائيلي وبطشه وتنكيله بالشعب الفلسطيني! وقد كان موقف الكويت حكومة وشعبا موقفا مشرفا؛ إذ رفضت الكويت المشاركة في تلك الورشة.

بالطبع فإن هؤلاء لن يتوقفوا عن محاولاتهم تهويد فلسطين، وسيسعون إلى بذل الأموال وشراء الذمم لكي يصلوا إلى هدفهم النهائي، ولكن لابد لنا من التفاؤل بأن قضية فلسطين هي قضية المسلمين الأولى، وأن الأعداء لا يمكن أن يصلوا إلى مبتغاهم مهما طال الزمن، وأن الله -تعالى- حافظ دينه وخاذل أعداءه، وأن مساعيهم ستفشل بإذن الله -تعالى-، وأنهم سيخرجون من فلسطين صاغرين مخذولين!

لكن المطلوب من المسلمين اليوم هو الصبر والثبات ودعاء الله -تعالى- أن ينصرنا على أعدائنا، وبذل الأسباب ومنها التمسك بالأرض والمقدسات الإسلامية وعدم التفريط فيها، ومنها اليقين بأن نصر الله -تعالى- قادم لا محالة: ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء:٧)، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠)



مركز العمرية للقرآن الكريم يفتتح حلقاته في ١٣ مسجدًا

تحت شعار «علم أبناءك القرآن»، فتح مركز العمرية للقرآن التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي التسجيل في حلقات القرآن بمنطقة العمرية، التي تشمل الجنسين من الذكور والإناث في ١٣ مسجدا، وتتضمن هذه الحلقات فضلا عن حفظ القرآن الكريم برامج تربوية إيمانية متنوعة مصاحبة لحفظ القرآن.

وتأتي هذه الحلقات مع بداية كل عطلة صيفية محاولة من المركز في توفير البيئة الصالحة الملائمة للنشء من الجنسين التي حث عليها الإسلام والارتباط بأصدقاء الخير الذين يتصفون بالصفات الطيبة التي أمر الإسلام بها كالوفاء والأمانة والصدق والبعد عن ضد ذلك من الصفات التي حذر منها الإسلام، ومحاولة لاستثمار أوقات النشء بما يعود عليهم بالمنفعة في الدنيا والآخرة.

من جانب آخر قامت إدارة القرآن الكريم بجمعية إحياء التراث الإسلامي والمشرفة على مراكز القرآن بتنفيذ العديد من الإنجازات في مجال نشر كتاب الله -تعالى- وعلومه، كذلك فقد حصلت على المراكز الأولى في مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده التي تقام سنوياً، وافتتحت حلقات جديدة في المحافظات جميعها؛ حيث يتبعها حالياً ٣٠ مركزا يتفرع منها ١٢٠ حلقة تحفيظ موزعة على محافظات الكويت جميعها. وتتنوع أعمال إدارة القرآن الكريم؛ فهي تنظم المسابقات الرمضانية، والأسابيع الثقافية، وإنتاج البرامج التلفزيونية الخاصة بالقرآن الكريم، وتنظم رحلات العمرة للطلبة المتميزين وغيرها من الأنشطة.

٥ مجالس علمية إيمانية خلال شهر يوليو في الجهراء

أنشطة صيفية دعوية واجتماعية وثقافية متميزة للرجال والنساء والناشئة

وجهت لجنة الدعوة والإرشاد بمنطقة الجهراء التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي الدعوة للجمهور الكريم للحضور والمشاركة ببرنامجها الدعوي خلال شهر يوليو، الذي يتضمن ٥ مجالس علمية إيمانية لمشايخ عدة، تتناول العديد من الأمور الدعوية والشرعية المختلفة، وقد بدأت هذه المجالس بمحاضرة للشيخ حمد صالح الأمير، كما انعقدت يوم الاثنين الموافق ٢٠١٩/٧/٨م محاضرة للشيخ/ مصلح مرعي الشمري، وفي يوم ٢٠١٩/٧/١٥م ستكون هناك محاضرة للشيخ/ د. مجيد الخليفة، أما في يوم ٢٠١٩/٧/٢٢م ستكون المحاضرة للشيخ صالح حسين العجمي، وسيكون الختام في يوم الاثنين ٢٠١٩/٧/٢٩م مع الشيخ/ فيصل علوش العتيبي.

علماً بأن هذه المجالس ستكون كل يوم اثنين خلال شهر يوليو بعد صلاة العشاء مباشرة في ديوان صالح بن حسين العجمي بمنطقة النسيم ق ١، وتأتي هذه المجالس ضمن الأنشطة الصيفية للجنة الدعوة والإرشاد بمنطقة الجهراء التي تضم فضلا عن ذلك أنشطة خاصة للنساء والعديد من الأنشطة الخاصة بالأطفال والناشئة.

والجدير بالذكر أن لجنة الدعوة والإرشاد بمنطقة الجهراء التابعة لجمعية إحياء التراث الإسلامي تهتم بنشر الوعي الديني في المجتمع، وترسيخ العقيدة الإسلامية في قلوب أبنائه، فضلا عما تقوم به من أنشطة ثقافية واجتماعية وتوعوية.

تراث الجهراء: نظمت رحلة مركز أهل القرآن إلى المدينة النبوية ضمت ٢٤ طالبًا ضمن برنامج لحفظ القرآن

بعد رحلة إيمانية امتدت لأسبوعين متتاليين عاد إلى الكويت طلبة مركز أهل القرآن التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامي -فرع محافظة الجهراء-، قادمين من المدينة النبوية بعد أيام قضوها في رحاب القرآن الكريم، ضمن برنامج دعوي وُضع في هذه الرحلة، وأشار د. فرحان بن عبيد -رئيس الهيئة الإدارية في جمعية إحياء التراث الإسلامي- إلى أهمية مثل هذه الرحلات الإيمانية، ومنها رحلة المدينة التي امتدت لعامها السادس عشر بفضل الله؛ حيث ضمت (٢٤) طالبا اختيروا للسفر إلى مدينة رسول الله في المسجد النبوي من خلال برنامج أعد من أجل حفظ القرآن الكريم، وأشار د. فرحان أن الرحلة قد حققت أهدافها بفضل الله؛ حيث أتم اثنان من الطلبة حفظ كتاب الله -عز وجل- كاملا ومراجعة آخرين للقرآن الكريم كاملا بعد أن ختموه في دورات ماضية، مشيرا إلى أن الرحلة لم تتوقف عند ذلك، بل حفظ أربعة من الطلاب أربعة أجزاء من القرآن، وأربعة عشر طالبا حفظوا ثلاثة أجزاء، موضحا أن الطلبة كانوا يقضون تسع ساعات يومياً في الحرم النبوي، يتخلله برنامج للحفظ والمراجعة والصلاة والذكر.



داعيا الجهات الحكومية كافة إلى المبادرة لاتخاذ قرارات مماثلة

الجلاهمة: الإعفاء من رسوم البلدية له أثر ايجابي في تنمية الأوقاف

ثمن الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف محمد عبدالله الجلاهمة الخطوة الداعمة لتنمية الأوقاف الخيرية التي أقدم عليها وزير الاوقاف والشؤون الإسلامية و وزير الدولة لشؤون البلدية فهد الشعلة، وذلك من خلال إصداره قرارا يعفي الأوقاف الخيرية من رسوم الخدمات البلدية.

وقال الجلاهمة: إن قرار الإعفاء الذي أصدره الوزير الشعلة، سيساهم في خفض مصروفات العقارات المستثمرة، وسيكون له أثر إيجابي في تنمية هذه الأوقاف، وزيادة عوائدها، وتمكين الأمانة من أداء دورها، وترسيخ مكانتها محلياً ودولياً وإقليمياً في مجال إحياء الوقف ونشر ثقافته.

وأضاف أن الأمانة العامة للأوقاف تسعى إلى تخفيف الأعباء المالية على الأوقاف الخيرية؛ لتزيد حصة الريع القابلة للتوزيع، وما يقابله من زيادة مضطردة في المشاريع الوقفية التي تعمل على النهوض بدور الوقف في تنمية المجتمع وتلبية احتياجاته، داعيا الجهات الحكومية كافة إلى المبادرة لاتخاذ قرارات مماثلة لتخفيف الرسوم على الأوقاف الخيرية وإلغائها؛ لتمكين الأمانة من توجيه صافي ريع هذه الأوقاف خالصا لدعم مسيرة التنمية في البلاد وتعزيزها.

واكد الجلاهمة على أن هذا القرار يخفف العبء عن كاهل الأوقاف، ويشجع أهل الخير في بلد الخير -الكويت- على الوقف عموما والمساهمة في وقف العقارات والمباني لدى الأمانة العامة للأوقاف خصوصاً، ومثنياً الشكر للسادة رئيس المجلس البلدي ونوابه، على جهودهم في هذا المجال، داعيا الله -تعالى- أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

د. عيسى القدومي: لـ(الفرقان):

لجنة العالم العربي قدمت العديد من الإنجازات والمشاريع في المسجد الأقصى والقدس خلال شهر رمضان



صرح خبير المشاريع وتنمية الموارد ومشرف مشاريع فلسطين بلجنة العالم العربي في جمعية إحياء التراث الإسلامي، د. عيسى القدومي أن اللجنة قدمت الكثير من الإنجازات والمشاريع في المسجد الأقصى والقدس، خلال فترة رمضان وما قبله؛ حيث إن المسجد الأقصى له مكانة عظيمة في قلوب المسلمين، وهو من المساجد التي تشد إليها الرحال ومن المساجد المباركة.

وبين القدومي أن من أهم المشاريع التي قامت بها اللجنة المشاريع التعليمية؛ حيث تهتم اللجنة بنشر العلم والمشاريع التعليمية في المسجد الأقصى، وقد تمكنا -بحمد الله- من إقامة مدرسة كاملة، فضلا عن المساهمة في إنجاز ٤ مدارس أخرى، وهذه المدارس الخمسة مساهمة من اللجنة لتخفيف معاناة التعليم لأهل القدس وما حولها، كونهم يعاونون في ظل الاحتلال قلة الفصول الدراسية والإهمال والمناهج الدراسية التي لا تناسب المسلمين وتفرض من قبل الاحتلال؛ فأنشأت مدارس مثل مدرسة نور الهدى الأولى، والثانية، والثالثة، وقد أصبحت صرحاً علمياً يكفي لتعليم ٦٠٠ طالب، والآن نحن بصدد عمل مدرسة خاصة للبنات -إن شاء الله.

الطلبة الأيتام

وأضاف القدومي: إن ٣٠٪ من طلبة المدارس من الأيتام، وتدفع لهم الرسوم، وهذه المدارس مخرجاتها ذات مستوى طيب وجيد على مستوى فلسطين، ونعمل على تخفيف معاناة أهل القدس في تدريس أبنائهم في مدارس جيدة وآمنة؛ فكثير من المدارس -مع الأسف- في القدس قديمة ومتهالكة ومعرضة للأخطار والسقوط.

كفالة الأيتام والأسر

ثم أوضح عيسى القدومي أن للجنة العالم العربي أيضا دورا كبيرا في كفالة الأيتام والأسر؛ فكفالة الأيتام مشروع بدأ منذ تأسيس اللجنة وتأسيس العمل بفلسطين، وتكفل اللجنة في القدس مع لجنة زكاة القدس المرخصة ٣٤٤٥ يتيم منهم ألف يتيما، داخل البلدة القديمة في القدس، أو مناطق داخل السور في القدس، وباقي الأيتام من خارج السور، وهي مناطق كانت تابعة للقدس، وهؤلاء الأيتام لهم رعاية كاملة تعليمية، والمتفوقون لهم رعاية حتى المرحلة الجامعية بحسب رغبة المتبرع؛ فيخرج من كفالة الأيتام إلى كفالة صندوق الطالب إذا كان من الطلبة المتميزين.

تكفل اللجنة في القدس مع لجنة زكاة القدس المرخصة ٣٤٤٥ يتيما، منهم ألف يتيم داخل البلدة القديمة في القدس

الأسر والأرامل

أما الأسر والأرامل فلدينا تقريبا ٢٢٥ أسرة مكفولة كفالة كاملة فضلاً عن ١٠ أسر من ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذه الكفالة مستمرة شهريا، وتصرف لهم مع الكفالات بعض الأمور الأساسية مثل كسوة الشتاء والصيف والأضاحي والمواد الغذائية، فتخصص لهذه الأسر من هذه المشاريع الموسمية جزء منها، وتبلغ كفالة الأسر والأرامل ٥٠ د.ك بوصفه حدا أدنى، أما كفالة الأيتام فتبلغ ١٥ د.ك، وهي لا تكفي، ونعمل على المتابعة مع المتبرع في حال رغبته المساهمة في التعليم أو ترميم المنازل أو طرود غذائية أو الزكاة فتخصص لهم لتخفف من عوزهم ومعاناتهم.

أهم مشكلات أهل القدس

وأوضح القدومي إحدى أهم مشكلات أهل





مدارس نور الهدى أصبحت صرحاً علمياً يكفي لتعليم ١٠٠ طالب

في غزة أسست مدرسة ابن عثيمين، وهي تكفل ٦٥٠ طالبا، وهي من أفضل المدارس على مستوى محافظة خان يونس، فضلا عن مدارس ابتدائية، و٩ مدارس لرياض الأطفال

القدس، أنها من أكثر المناطق التي يفرض عليها الضرائب، ومعاناة الناس فيها كبيرة من الناحية الاقتصادية للتضييق عليهم لإخراجهم من القدس؛ فنحن نعمل على بقائهم وصمودهم؛ فهم من المرابطين في هذه الأرض المباركة وحول المسجد الأقصى المبارك، وهذه المساعدات هي مساعدات مستمرة طوال العام، وهناك مساعدات لأسر أخرى مقطوعة في حال توفر من أموال الزكاة والإغاثة.

مخيمات اللاجئين الفلسطينيين

كذلك لم تهمل لجنة العالم العربي المعاناة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وهي معاناة شديدة؛ فتقيم اللجنة في هذه المخيمات مشاريع صحية، ومشاريع تعليمية بالتعاون مع بعض الجمعيات والمؤسسات الخيرية الأخرى كصندوق إعانة المرضى في الكويت، وبعض المؤسسات في بريطانيا، وبعض الدول الأخرى؛ بحيث تكون مساهمة خاصة بالنواحي الصحية؛ لأنها مكلفة جداً، وهناك إهمال وضعف في قضية الرعاية الصحية في المخيمات، سواء فلسطين أم خارجها.

التعليم في مخيمات غزة

أما الجانب التعليمي وهو ضروري جداً؛ ففي غزة انصب اهتمامنا على قضية التعليم، ولاسيما في مخيمات غزة؛ فمن ضمنها أسست مدرسة ابن عثيمين، وهي تكفل ٦٥٠ طالبا، وتعد من أفضل المدارس على مستوى محافظة خان يونس، فضلا عن مدارس ابتدائية، و٩ مدارس لرياض الأطفال، وهذه المدارس يُستفاد في الفترة المسائية بأنشطة عديدة للطلاب والأيتام، وكذلك برامج اجتماعية لأهل المنطقة.

مشروع إفطار الصائم

ومن مشاريع لجنة العالم العربي مشروع إفطار الصائم؛ حيث تُنفذ اللجنة مشروع إفطار الصائم، منذ أكثر من عشرين سنة في ساحات المسجد الأقصى، وتنشر موائد الإفطار حوله، وفي الساحات الخارجية للمسجد الأقصى.

لدينا ٢٢٥ أسرة مكفولة كفالة كاملة، فضلا عن ١٠ أسر من ذوي الاحتياجات الخاصة بكفالة مستمرة شهريا

كذلك نقوم بتوزيع السلال الرمضانية للأسر المقدسية، وتوزيع وجبات السحور، فضلا عن توزيع بعض المواد الغذائية، كالتمور، والمشروبات الساخنة ببعض المساجد خلال فترة الاعتكاف، هذا ما قامت به لجنة العالم العربي من ناحية الإطعام في المسجد الأقصى ومشروع إفطار الصائم.

شكرًا أهل الكويت

وفي ختام تصريحه قال القدومي: نشكر الكويت ممثلة في سمو الأمير -حفظه الله- والحكومة الكويتية، ومجلس الأمة، والشعب الكويتي على مساهمتهم ودعمهم لقضية فلسطين، ودعمهم المستمر لثوابت هذه القضية بداية، وكذلك الإغاثة والمساعدات وهذه الأمور ليست جديدة، بل هي مستمرة منذ البدايات الأولى لقضية فلسطين وحتى الآن، فلم يقصروا فلهم كل الشكر، ونسأل الله أن يحفظ هذا البلد وأهله، ويوفقهم لكل خير؛ فاللسان يعجز عن الشكر؛ فللكويت وأهلها دور كبير في دعم قضية فلسطين وأهلها وصمودهم، فلهم كل الشكر والتقدير، سائلين الله -عز وجل- أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يحفظ الكويت وأهلها من كل مكروه.

شرح كتاب الجنائز من صحيح مسلم

باب: إذَا مَاتَ المرء عُرِضَ عَلَيه مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ والْعَشِيِّ

كتب: الشيخ محمد الحمود النجدي

عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ؛ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ؛ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ؛ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢١٩٩/٤) وبوب عليه عليه النووي: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ورواه البخاري (١٣٧٩) في كتاب الجنائز، باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي.

قوله: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي»، قال ابن التين: يحتمل أنْ يُريد بالغداة والعشي غداةً واحدة، وعشية واحدة، يكون العرض فيها، ومعنى قوله: «حتى يبعثك الله» أي: لا تصل إليه إلى يوم البعث، ويحتمل أنْ يريد: كل غداة وكل عشي، وهو محمول على أنه يحيا منه جزءٌ ليدرك ذلك؛ فغير ممتنع أن تعاد الحياة إلى جزء من الميت أو أجزاء، وتصح مخاطبته والعرض عليه. انتهى.

قال الحافظ: والأول موافق للأحاديث المتقدمة قبل بابين في سياق المساءلة وعرض المقعدين على كلّ أحد، وقال القرطبي: يجوز أنْ يكون هذا العرض على الروح فقط، ويجوز أنْ يكون عليه مع جزء من البدن. قال: والمراد بالغداة والعشي: وقتهما، وإلا فالموتى لا صباح عندهم ولا مساء. قال: وهذا في حق المؤمن والكافر واضح، فأما المؤمن المخلط فمحتمل في حقه أيضا؛ لأنه يدخل الجنة في الجملة، ثم هو مخصوص بغير الشهداء؛ لأنهم أحياء وأرواحهم تسرح في الجنة. ويحتمل أن يقال: إن فائدة العرض في حقهم تبشير أرواحهم باستقرارها في الجنة مقترنة بأجسادها؛ فإنّ فيه قدراً زائدا على ما هي فيه الآن.

قوله: «مقعدك حتى يبعثك الله» هذا تنعيم للمؤمن؛ وتعذيب للكافر.

قوله: «إن كان من أهل الجنة؛ فمن أهل الجنة» اتحد فيه الشرط والجزاء لفظاً؛ ولا بد فيه من تقدير، قال التوربشتي: التقدير إنْ كان من أهل الجنة فمقعده من مقاعد أهل الجنة؛ يُعرض عليه.

وقال الطِّيبي: الشرط والجزاء إذا اتحدا لفظاً دلّ على الفخامة، والمراد أنه يَرى بعد البعث من كرامة الله ما ينسيه هذا المقعد. انتهى، ووقع عند مسلم بلفظ: «إنْ كان من أهل الجنة فالجنة». أي: فالمعروض الجنة.

إثبات عذاب القبر ونعيمه

وفي الحديث: إثبات عذاب القبر ونعيمه، وهو مذهب السلف -رحمهم الله تعالى-؛ قال الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته: «ونُؤمن بملَك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسُؤال منكر ونكير في قبره عن ربّه ودينه ونبيه، على ما جاءت به

مذهب أهل السنة: إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة

المعذَّب عند أهل السنة: الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه، أو إلى جزء منه

ثبت في الحديث الصحيح: «أنَّ أرواح المؤمنين في شكل طيور تَعْلق بشجر الجنة، وأرواح الشهداء في أجوافٍ طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت

الأخبار عن رسول الله -ﷺ-، وعن الصحابة -رضوان الله عليهم-، والقبر روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران».

قال شارح الطحاوية: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله -ﷺ- في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته؛ إذْ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، بل إنَّ الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا».

مذهب أهل السنة

وقال النووي: «اعلم أن مذهب أهل السنة: إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال الله -تعالى-: {النار يُعْرَضُون عَلَيْها غُدوا وعَشيا} غافر: ٤٦؛ وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي -ﷺ-؛ من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة، ولا يمتنع في العقل أنْ يعيد الله -تعالى- الحياة في جزءٍ من الجَسَد ويُعذّبه، وإذا لم يمنعه العقل؛ وورد الشرع به؛ وجب قبوله واعتقاده، وقد ذكر مسلم هنا أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر، وسماع النبي -ﷺ- صوتَ مَنْ يُعذّب فيه، وسماع الموتى قرعَ نعال دافنيهم، وكلامه -ﷺ- لأهل القليب، وقوله: «ما أنتم بأسمع منهم»، وسؤال الملكين الميت، وإقعادهما إياه، وجوابه لهما، والفَسْح له في قبره، وعرض مقعده عليه بالغداة والعشي، وسَبقَ مُعظم شرح هذا في كتاب الصلاة، وكتاب الجنائز، والمقصود: أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، كما ذكرنا خلافا للخوارج، ومعظم المعتزلة، وبعض المرجئة نفوا ذلك.

المعذَّب عند أهل السنة

ثم المعذَّب عند أهل السنة: الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه، أو إلى جزء منه، وخالف فيه محمد بن جرير وعبد الله بن كرام وطائفة؛ فقالوا: لا يشترط إعادة الروح! قال أصحابنا: هذا فاسد ؛ لأن الألم والإحساس إنما يكون في الحي، قال أصحابنا: ولا يمنع من ذلك كون الميت تفرقت أجزاؤه كما نشاهد في العادة، أو أكلته السباع، أو حيتان البحر، أو نحو ذلك، فكما أن الله -تعالى- يعيده للحشر؛ وهو -سبحانه وتعالى- قادرٌ على ذلك، فكذا يعيد الحياة إلى جزءٍ منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان.

فإنْ قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره، فكيف يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد، ولا يظهر له أثر؟ فالجواب: أنَّ ذلك غير ممتنع، بل له نظير في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذَّة وآلاماً لا نحس نحن شيئا منها، وكذا يجد اليقظان لذة وألما لما يسمعه أو يفكر فيه، ولا يشاهد ذلك جالسوه منه، وكذا كان جبرائيل يأتي النبي -ﷺ- فيخبره بالوحي الكريم، ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهرٌ جلي، قال أصحابنا: وأما إقعاده المذكور في الحديث فيحتمل أنْ يكون مختصا بالمقبور دون المنبوذ، ومَنْ أكلته السِّباع والحيتان، وأما ضربه بالمطارق فلا يمتنع أنْ يُوسع له في قبره؛ فيُقعد ويضرب. والله أعلم». شرح مسلم (١٧ / ٢٠١).

وقال ابن كثير عند قوله -تعالى-: {النار يعرضون عليها غدوا وعشيّاً}: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور.

الصحيح من أقوال العلماء

والصحيح من أقوال العلماء: أن عذاب القبر ونعيمه يقع على الروح والجسد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأيضا تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم أو العذاب». «الاختيارات الفقهية» (ص ٩٤).

وقال الحافظ: وفي هذا الحديث إثبات عذاب القبر، وأنّ الروح لا تفنى بفناء الجسد؛ لأن العَرَض لا يقع إلا على حي.

وقال ابن عبد البر: استدل به على أنّ الأرواح على أفنية القبور ! قال: والمعنى عندي أنها قد تكون على أفنية قبورها؛ لا أنها لا تُفارق الأفنية، بل هي كما قال مالك إنه بلغه: أنّ الأرواح تسرح حيثُ شاءت!

تعليق الشيخ ابن باز

وقد علّق الشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز -رحمه الله- في الطبعة السلفية (٣/٢٤٣) هاهنا فقال: «ما قاله ابن عبد البر ومالك في الأرواح ضعيف؛ مخالف لظاهر القرآن الكريم، وقد دل ظاهر القرآن: على أنَّ الأرواح ممسكة عند الله -سبحانه-، وينالها من العذاب والنعيم ما شاء الله من ذلك، ولا مانع من عَرض العذاب والنعيم عليها وإحساس البدن، أو ما بقي منه بما شاء الله من ذلك كما هو قول أهل السنة، والدليل المشار إليه قوله -تعالى-: {اللهُ يُتوفَّى الأنفس حَين مَوتها والتي لم تمتْ في منامها فيُمسكُ التي قَضَى عليها الموتَ ويُرْسل الأُخْرى إلى أجل مُسمّى} الزمر: ٤٢.

وقد دلتِ الأحاديث: على إعادتها إلى الجسد بعد الدفن عند السؤال، ولا مانع من إعادتها إليه فيما يشاء الله من الأوقات كوقت السلام عليه.

أرواح المؤمنين

وثبت في الحديث الصحيح: «أنَّ أرواح المؤمنين في شكل طيور تَعْلق بشجر الجنة، وأرواح الشهداء في أجوافِ طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت..». الحديث، والله أعلم». انتهى.

حتى يبعثك الله

قوله: «حتى يبعثك الله يوم القيامة «في رواية مسلم، عن يحيى بن يحيى عن مالك: «حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة». وحكى ابن عبد البر فيه الاختلاف بين أصحاب مالك، وأن الأكثر رووه كرواية البخاري، وأن ابن القاسم رواه كرواية مسلم، قال: والمعنى حتى يبعثك الله إلى ذلك المقعد. ويحتمل أن يعود الضمير إلى الله، فإلى الله ترجع الأمور، والأول أظهر ا هـ. ويؤيده رواية الزهري، عن سالم عن أبيه بلفظ: «ثم يقال: هذا مقعدك الذي تبعث إليه يوم القيامة». أخرجه مسلم. وقد أخرج النسائي رواية ابن القاسم لكن لفظه كلفظ البخاري.



الحلم والأناة من أخلاق الأنبياء

الشيخ: بدر الفيلكاوي

أقامت لجنة الدعوة والإرشاد بجمعية إحياء التراث الإسلامي قبل فترة ندوة بعنوان الحلم والأناة للشيخ بدر الفيلكاوي؛ حيث تناول الشيخ بالشرح حديث الأشج عبد القيس حين قال عنه الرسول -ﷺ-: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله (الحلم والأناة) فقال أهما خلقان تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما ؟ قال بل جبلك الله عليهما؛ فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله».

ومناسبة هذا الحديث أنه لما قدم الأشج عبد قيس (وهو مشهور بلقبه وإلا فهو اسمه المنذر بن عمرو أبو الحارث) لما قدم إلى النبي -ﷺ- هو ومن معه من قومه أرادوا ان يسلموا على النبي -ﷺ- بعد أن أعلنوا إسلامهم؛ فلما ذهبوا إلى النبي -ﷺ- في المدينة ووصلوا هناك كان ذلك في الثامنة هجريا (وقيل في العاشرة).

وكان أصحاب الأشج في لهفة لرؤية النبي -ﷺ- والحديث معه؛ فذهبوا إليه مسرعين، أما الأشج فتأنى ثم ذهب ليأخذ من راحلته ملابسه الجميلة النظيفة، وبدّل ملابسه بعد أن تطهر وتعطر وأحسن التهيؤ ثم ذهب إلى النبي -ﷺ- وهذا يدل على حلمه وتأنيه وأنه غير مستعجل كأصحابه.

الأخلاق في الإسلام

يقول له النبي -ﷺ-: «إن فيك خلقين» فالنبي -ﷺ- يتحدث في هذا الحديث عن الأخلاق، والأخلاق في الإسلام هي شطر الإسلام أي نصف ديننا؛ ولذلك فإن من أجلّ مهام الأنبياء والمرسلين كانت غرس الأخلاق الفاضلة في الناس وتهذيب نفوسهم وتطهيرها؛ ولذلك قال -ﷺ-: «إنما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق».

من مهام الأنبياء

فمن مهام الأنبياء الكبرى تزكية النفوس وتهذيبها بالأخلاق الفاضلة؛ فالأخلاق عندنا في الإسلام لها حقٌ عظيم، ولذلك تجد أن المسلم أخلاقه تختلف عن غير المسلمين، وهذه الأخلاق في الحقيقة لا يُستهان بها كما يستهين بها كثير من الناس؛ فهي من أجلّ العبادات أي أن تحلي الإنسان بهذه الأخلاق بالكلمة الطيبة والابتسامة مثلا.. هذه من أجل العبادات عند الله، لذا قال -ﷺ-: «أكمل المؤمنين إيمانا أحاسنهم خلقا» ويقول -ﷺ- فيما رواه الترمذي «ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق» ما قال من صيام أو صلاة أو زكاة أو صدقة وإنما قال من حسن الخلق.

رفعة في الدرجات

فبأخلاقك ترفع في الدرجات العلا يوم القيامة كما قال -ﷺ-: «إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»، فما فرض علينا محض العبادات كالصلاة والصيام والزكاة إلا لتزكية النفس وتهذيبها وإلا من أجل تهذيب أخلاقك ولأن تسموا بها كما قال الله -عز وجل-: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر».

مجالات الأخلاق

أولا: مع الله -عز وجل- أن تحسن الأدب مع الله في الامتثال لأوامره- سبحانه.

ثانيا: مع الناس، لقولة -ﷺ- «وخالق الناس(أي جميع الناس) بخلقٍ حسن» أي بمكارم الأخلاق.

وإذا قلنا الأخلاق فإننا نتحدث عن الصورة الباطنة للإنسان؛ لأن الإنسان له صورتان صورة ظاهرة وصورة باطنة، الصورة الظاهرة هي خَلق الإنسان، شكله، بدنه، والإسلام يهتم بهذا الشكل بالنظافة والعناية ولكن ليس ذلك معيارا عند الله على صلاح العبد؛ فالله لا ينظر إلى صوركم كما قال -ﷺ-: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وجمالكم واجسادكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، يعني الصورة الباطنة يعني أنت مكانتك بإيمانك؛ فالله لا يلوم العبد لماذا أنت أبيض وأنت أسمر؟ أو يلومه لماذا أنت طويل وأنت قصير؟ وهكذا، لأن الله هو الذي خلقك علي هذه الشاكلة لكن نظره -سبحانه وتعالى- للعبد يكون علي إيمانه وما يظهر من إيمانه علي جوارحه وعلي بدنة بطاعة الله -عز وجل.

لذا فالصورة الباطنة: هي خلق الإنسان وحال هذه النفس الراسخة وما يصدر عنها من خير أو شر؛ فالحديث يتكلم عن خُلق الإنسان، عن الصورة الباطنة، عن محل نظر الرب للعبد.

المحمود والمذموم من الأخلاق

والأخلاق كما نعلم منها ما هو محمود ومنها ما هو مذموم، فالمحمود هو كل الأخلاق التي امرنا الله -عز وجل- أن نتحلى بها، مثل: الصدق والأمانة والصبر والوفاء والعدل وغيرها من الأخلاق الحميدة، وهناك أخلاق مذمومة لا يحبها الله -عز وجل- كالكذب والغيبة والنميمة، والغدر، والخيانة وغيرها؛ لذا فالسؤال هنا هو كيف يحصل الإنسان على هذه الأخلاق سواء كانت حسنة أم سيئة؟

منبع الأخلاق

الأخلاق إما أن تكون طبعاً في الإنسان جُبل عليه، يعني الله خلق الإنسان وفيه بعض الأخلاق؛ فإن كانت من التي يحبها الله -سبحانه- فهي نعمة من الله -تعالى- لفئة من الناس الله يكرمهم بأخلاق حميدة طبعٌ فيهم وجبلة، وإما أن

من مهام الأنبياء الكبرى تزكية النفوس وتهذيبها بالأخلاق الفاضلة؛ فالأخلاق عندنا في الإسلام لها حقٌ عظيم،

يكتسبها من الآخرين فتكون طبعاً يجاهد نفسه في اكتسابه والتطبع به، يعني: ما كانت فيه هذه الخصلة فتحلى بها، كان مثلاً كذاباً ثم بعد ذلك تحلى بالصدق حتى صار صادقاً، هذه يكتسبها من الآخرين. كيف نحصل على هذه الأخلاق (السيئة والصالحة) من صحبة الناس؟ فالإنسان يتأثر بمن يجلس معهم ولهذا قال -ﷺ-: «لا تصاحب إلى مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»، لماذا؟ لأن الصحبة لها أثر في أخلاقك.

إما طبع وإما تطبع

ولذلك قال -ﷺ- مبيناً أن هذه الأخلاق تأتي إما طبع وإما تطبع حين قال: «إن فيك خلقين يحبهما الله الحلم والأناة»، قال الأشج: «أهما خلقان تخلّقت بهما»، (يعني اكتسبتهم من الناس) «أم جبلني الله عليهما»؟ يعني طبع فيَّ، الله خلقني بهذا الخلق؟ قال: «بل جبلك الله عليهما» يعني الله خلقك وفيك هذان الخلقان نعمة؛ ولهذا قال: «الحمد الله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله» (فضلٌ ونعمة).

أخلاق نبينا -ﷺ-

ولذلك أخلاق نبينا -ﷺ- هي طبعٌ وسجية فيه -ﷺ- الله خلقه وفيه هذه الأخلاق الفاضلة- -ﷺ-، يعني ما كانت أخلاقه رديئة ثم تحلى بأخلاق حميدة، حاشاه -ﷺ- فمنذ الصغر وهو معروف بأنه الصادق الأمين، ما اتصف أبدا بخلقٍ مذموم -ﷺ- طبعٌ فيه وسجية.

الحلم والأناة

الحلم خلق حميدٌ محمود يحبه الله -سبحانه وتعالى-، وهو خلق بين خلقين مذمومين، الحلم هو خلقٌ بين الغضب وبين البلادة، الغضب لا يحبه الله -تعالى-، قال -ﷺ-: «الغضب من الشيطان»، ولذلك جاء رجل إلى نبينا -ﷺ-، فقال له: أوصني يا رسول الله؟ قال: «لا تغضب»، طيب هو يريد وصية طويلة عريضة، لكنها كانت كلمة واحدة، قال: أوصني يا رسول الله قال: «لا تغضب»، قال: أوصني قال: «لا تغضب» ما زاد عليها -ﷺ-.

فلما ذهب وفكر بعد ذلك ملياً علم أن الغضب من الشيطان، القتل والمشاجرات والطلاق وغيره كله بسبب الغضب، وانظر الوصية العظيمة التي وصى بها -ﷺ- هذا الصحابي قال: لا تغضب، إذاً الحلم هو ما بين الغضب وهو من الشيطان وما بين البلادة.

السكون عند الغضب

والحلم هو السكون عند الغضب، يعني إنسان إذا سمع كلمة تزعجه، أو تصرُّف يزعجه في البيت أو خارج البيت في الشارع أحدهم خاطبه بكلمة غير مناسبه أو تصرف معه تصرفا يغضبه فإذا هو يمسك بلجام نفسه ويكظم غيظه فيُهدئ غضبه، هذا هو الحلم «السكون عند الغضب»، أما سريع الغضب فهذا ليس بحليم؛ ولذلك نرى بعض الناس بسرعة يغضب لهذا أمسك نفسك وعود نفسك على هذا الخُلق، وروضها كما قال الله -تعالى-: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس٧: ١٠)، أفلح من زكاها يعني من هذبها، من طهرها، من ألزمها بكتاب الله وسنة نبيه من أمره بالتحلي بالأخلاق الفاضلة؛ لذلك قال -ﷺ-: «إنما الحلم بالتحلم والعلم بالتعلم».

سر نجاح دعوة النبي -ﷺ-

ولذلك سر نجاح نبينا -ﷺ- في دعوته -بتوفيق من الله- هذه الأخلاق الحميدة قال الله -تعالى- عنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، يعني سبب الناس أنهم يحبونك ويقبلون على دعوتك أنك هين لين سهل -ﷺ- ما فيك غلظة وشدة، لو كانت صفاتك فيها الشدة والغلظة ما سمعوك ولا استجابوا لك.

يحبه الله

لذلك فخلق اللين والرفق يحبه الله بل هي من صفات الله -تعالى- يقول -ﷺ- في الصحيحين: «لا يكون الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع منه إلا شانه»، ويقول -ﷺ- في الصحيحين: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله»، ويقول -ﷺ- في الصحيح: «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»، يعني من الأجر والحسنات.

أمر مطلوب

فالرفق واللين أمر مطلوب، كلما صرت هينا لينا مبتسما مع زوجتك، مع عيالك، مع جيرانك، مع الناس، مع المسلمين، حتى مع غير المسلمين، تتبسم ويظهر عليك أنك لين هين سمح هذا خلق يحبه الله -سبحانه وتعالى-، ثم ماذا يأتي الآن بعد أن صرت هينا لينا؟ ماذا سيصدر منك؟ هل العنف بعد الحلم والتأني وإنما سيصدر منك لين وسماحة ورفق ورحمة؟ ثم ماذا ينتج منه؟ ليس إلا العفو والصفح والتسامح.

من صفة الأنبياء

وهي كذلك من صفة الأنبياء والمرسلين يقول ابن مسعود عن نبينا -ﷺ-، في غزوة أحد بعد أن انهزم المسلمون في نهاية المعركة وحاصره الكفار وأخذوا يضربونه من كل مكان -ﷺ- كادوا أن يقتلوه، ضرب على رأسه فشج رأسه، وكسرت أسنانه وضرب على كتفه -ﷺ-، وسقط في حفرة فتأثرت قدمه منها أكثر من سبع أو ثماني جراح فيه، والدم يسيل من رأسه ومن فمه -ﷺ-، وهو -ﷺ- مع ذلك يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

تأمل سماحة النبي -ﷺ- هذا خلق من خلق الأنبياء ألا وهو العفو والصفح، فمن أفضل الأخلاق التي يتحلى بها المسلم خلق العفو، ولهذا يقول الله -تعالى- عن أهل الإيمان: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التغابن:١٤)، يعني الجزاء من جنس العمل.

اعفو عنه

لذلك جاء رجلٌ كما قال ابن عمر في حديثه: جاء رجل إلى نبينا -ﷺ- -فقال له: كم نعفو عن الخادم إذا أخطأ؟ سكت عنه -ﷺ-، ثم أعاده مرة ثانية كم نعفو عن الخادم يا رسول الله؟ سكت عنه -ﷺ-، ثم عاد: كم نعفو عن الخادم يا رسول الله؟ نظر إليه -ﷺ- فقال: «اعفُ عنه في كل يوم سبعين مرة»، ونحن لو الخادم غلط غلطة واحدة كيف نفعل به، النبي قال اعفُ عنه سبعين مرة، خلق محمود الله -تعالى- يحبه خلق العفو.

كيف ننتفع بالقرآن العظيم؟

د. أحمد فريد

قال ابن القيم -رحمه الله-: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك؛ فإنه خطاب من الله -تعالى- لك على لسان رسول الله -ﷺ-، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق:٣٧)، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفًا على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد.

فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾: إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ها هنا، وهذا هو المؤثر، وقوله: (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) أي: شاهد القلب، حاضر غير غائب».

قال ابن قتيبة: «استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع -وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر- حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر».

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «إذا سمعت: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فأصغ لها سمعك؛ فإما خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه».

وقال الحسن بن علي -رضي الله عنهما-: «إن مَن كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار».

قال الآجري -رضي الله عنه-: «فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن كالمرآة يرى فيها ما حسن من فعله وما قبح منه، فما حذَّره مولاه حذره وما خوَّفه خافه، وما رغَّبه فيه رغب فيه؛ فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته، ورعاه حق رعايته، وكان له القرآن شاهدًا وشفيعًا، وأنيسًا وحرزًا؛ ومَن كان هذا وصفه نفع نفسه ونفع أهله، وعاد على والديه وولده كل خير في الدنيا والآخرة».

قال ابن القيم -رحمه الله-: «تأمّل خطاب القرآن تجد ملكًا له الملك كله وله الحمد كله، أزمّة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه ومردّها إليه، لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته عالمًا بما في نفوس عبيده، مطّلعا على أسرارهم وعلا نيتهم، منفردًا بتدبير المملكة يسمع ويرى، يمنع ويعطي، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي ويدبّر، الأمور نازلة من عندها؛ دقيقها وجليلها، وصاعدة إليه لا تتحرّك ذرّة إلا بأذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه... «(الفوائد).

وقال كذلك: «مَن قرئَ عليه القرآن فليقدر نفسه كأنما يسمعه من الله يخاطبه به، فإذا حصل له ذلك السماع، ازدحمت معاني المسموع ولطائفه وعجائبه على قلبه».

وقال العلامة السعدي: «فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول --ﷺ-- وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، مِن أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه».





خطاب الله لرسوله ﷺ (٤)

بقلم: د. أمير الحداد (*)

www.prof-alhadad.com

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٣)، وقوله -سبحانه-: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (يونس: ٩٥)، وكذلك ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يونس: ١٠٥).

كنا ثلاثة نفر في طريقنا لأداء العمرة في شهر شعبان، اعتدنا أن نذهب كل عام بالطائرة، قررنا أن نذهب براً هذه المرة؛ لنزور إخوة لنا في (الزلفي)، وليشتري (أبو سالم) بعض الحاجات من (الحفر).

- هذه الآيات الثلاث وأشباهها في كتاب الله، فيها خطاب لرسول اللهﷺ، ومع أن ظاهرها نهي لهﷺ أن يقع في الشرك، وهو الذي بعثه الله لإقامة التوحيد، وهدم الشرك، إلا أن المراد غيره كما في كتب التفسير.

وإليكما ما ورد في بعض الكتب.

أخذ صاحبنا يتعامل مع هاتفه الذكي، لم يتطلب الأمر سوى دقائق قليلة.

- اسمعا ما جمعت لكما.

قوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ خطاب لغير معين؛ فيعم كل من يسمع هذا الكلام، ويجوز أن يكون الخطاب موجها إلى النبيﷺ؛ لأنه المبلغ عن الله -تعالى-؛ فللاهتمام بهذا النهي وقع توجيهه إلى النبيﷺ مع تحقق أنه منته عن ذلك؛ فتعين أن يكون النهي للذين هم متلبسون بالإشراك، ونظير هذا قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(الزمر: ٦٥)، والمقصود من مثل ذلك الخطاب غيره ممن يبلغه الخطاب. وفي هذا تعريض بالمشركين أنهم سيعذبون للعلم بأن النبيﷺ وأصحابه غير مشركين.

قوله -تعالى-: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾، وقد أوضحنا في سورة (بني إسرائيل) في الكلام على قوله -تعالى-: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾(٢٢/١٧)، بالدليل القرآني أن النبيﷺ يخاطب بمثل هذا الخطاب، والمراد التشريع لأمته، وقوله هنا: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية، جاء معناه في آيات كثيرة، كقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾(٢٢/١٧)، وقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾(٣٩/١٧)، وقوله -تعالى-: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(٦٥/٣٩)، إلى غير ذلك من الآيات. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وحاصل هذا أن الله نهى عن شيئين: الشك في هذا القرآن والامتراء فيه.

وأشد من ذلك التكذيب به، وهو آيات الله البينات، وكذلك عطف ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ وهو أصرح في التعريض بهم؛ ﴿فتكون من الخاسرين﴾، وهذا يقتضي أنهم خاسرون.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قال أبو جعفر: يقول -تعالى- ذكره لنبيه محمدﷺ: «قل يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله، ويحثونك على عبادتها: أغير الله فاطر السموات والأرض، وهو يرزقني وغيري ولا يرزقه أحد، أتخذ وليا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟ وقل لهم أيضا: إني أمرني ربي أن أكون أول من أسلم»، يقول: أول من خضع له بالعبودية، وتذلل لأمره ونهيه، وانقاد له من أهل دهري وزماني ﴿ولا تكونن من المشركين﴾، يقول: وقل: وقيل لي: لا تكونن من المشركين بالله، الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء. وجعل قوله: «أمرت» بدلا من قيل لي؛ لأن قوله: «أمرت» معناه: قيل لي؛ فكأنه قيل: قل إني قيل لي: كن أول من أسلم ولا تكونن من المشركين؛ فاجتزأ بذكر الأمر من ذكر القول؛ إذ كان الأمر معلوما أنه قول. ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله بالتوحيد، وانقاد له بالطاعة؛ لأني أولى من غيري بامتثال أوامر ربي.

﴿ولا تكونن من المشركين﴾، أي: ونهيت أيضا عن أن أكون من المشركين، لا في اعتقادهم، ولا في مجالستهم، ولا في الاجتماع بهم؛ فهذا أفرض الفروض علي، وأوجب الواجبات. وأقم جميع شرائع الدين حنيفا، أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، ﴿ولا تكونن من المشركين﴾، لا في حالهم، ولا تكن معهم. ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ نهي مؤكد لمعنى الأمر الذي قبله تصريحا بمعنى حنيفا، وتأكيد الفعل المنهي عنه بنون التوكيد للمبالغة في النهي عنه، اعتناء بالتبرؤ من الشرك.

وقد تقدم غير مرة أن قوله: من المشركين ونحوه أبلغ في الاتصاف من نحو: لا تكن مشركا؛ لما فيه من التبرؤ من الطائفة ذات نحلة الإشراك، هذا النهي موجه إلى النبيﷺ في الظاهر، والمقصود به إبطال الشرك وإظهار ضلال أهله؛ إذ يزعمون أنهم معترفون بإلهية الله -تعالى- وأنهم إنما اتخذوا له شركاء وشفعاء؛ فبين لهم أن الله لا إله غيره، وأن انفراده بالإلهية في الأمر نفسه يقضي ببطلان الإشراك في الاعتقاد ولو أضعف إشراك؛ فجملة لا إله إلا هو في معنى العلة للنهي الذي في الجملة قبلها.

- كلام جميل، يشفي الغليل، ويريح البال، ويزيل القلق والشك والتردد.

- وهذا الذي يجب على كل من يقرأ القرآن أن يفعله.

(*) أستاذ في جامعة الكويت

الشيخ العلامة

د. يحيى التشادي في ذمة الله

توفي الأسبوع الماضي يوم الاثنين ٢٨ شوال الشيخ العلامة الدكتور يحيى عبد الله أحمد التشادي بعد أيام من تعرضه لحادث أليم أدى لكسر في العنق، والشيخ -رحمه الله- من أكبر دعاة تشاد، وهو خريج الجامعة الإسلامية، وأسلم على يديه الآلاف في الدول الأفريقية وغيرها.

يقول عنه أ.د. عبدالعزيز بن سليمان المزيني: عرفت الشيخ الدكتور يحيى عبدالله أحمد – رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته – في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ حيث زاملته في مرحلة البكالوريوس في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية أربع سنوات، فكان من خيرة طلاب تلك الدفعة ومحط أنظار الطلاب وكثير من المشايخ، وهو من مواليد قرية شُكُيُن التابعة لمحافظة أبَّشَّه، في تشاد، عام ١٣٨٠.



طلبه للعلم

طلب -رحمه الله- العلم في بلده حتى نبغ فيه وبلغ مبلغ العلماء، حتى إنه أجيز من أكبر علماء أبشه، وعمره يناهز العشرين، ومحافظة أبشه في وقتها بلد العلم والعلماء في تشاد، فكان عالما قبل مجيئه للجامعة؛ حيث أجيز ببعض كتب السنة واللغة والفتوى بالفقه المالكي قبل أن يأتي للجامعة.

عشرين ألف بيت

وقد أسرَّ إلي يوماً – بعد إلحاح – أنه يحفظ أكثر من عشرين ألف بيت، في شتى العلوم، فكان كثير من الأفاضل يقرؤون عليه بعض المتون وهو طالب في الجامعة، والشيخ يتميز مع علمه الجم، بالخلق الرفيع، والتواضع، وعفة النفس.

مواقف ومحطات

ومن المواقف التي كانت بينه وبين أحد الزملاء في تلك الأيام، أنه علم أن الشيخ معه أهله ومكافأة الطالب قد لا تكفيه، فقال له يوماً: يا شيخ يحيى إن كانت لك حاجة فنحن إخوة ويعين بعضنا بعضاً، فلا تتردد في عرض حاجتك علي، فقال نعم لي حاجة، فظن أخونا أنه يريد أن يطلب شيئاً من الأثاث أو نحوه، ففرح، وقال: ما حاجتك؟ فقال: أن تدعو الله أن يبارك لي في مكافأتي، فإن بارك الله فيها كفتني وزيادة، وإن لم يبارك فيها لم تكفني مكافأتي مع مكافأتك!

ملازمة العلماء

وكان الشيخ ملازماً لدروس بعض العلماء في المدينة المنورة وفي المسجد النبوي، فلما تخرج في الجامعة لم يرشح تلك السنة أحد من طلاب المنح لبرنامج الماجستير لأنه لم يفتح في السنة التي تليها برنامج الماجستير في الكلية، فسافر الشيخ إلى السودان فحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في جامعة القرآن الكريم، في التفسير وعلوم القرآن.

رجوعه إلى تشاد

ثم سافر بعدها إلى تشاد، وأقام في العاصمة أنجمينا، وبدأ عمله العلمي والدعوي، فأنشأ منظمة الرشاد الخيرية، وكانت تضم قسماً للأعمال الإغاثية وبناء المساجد وحفر الآبار وغير ذلك، وقسماً للتعليم، وأنشأ تحته معهدين لتأهيل حفاظ القرآن الكريم، أحدهما في العاصمة، والآخر في محافظة أبشه، وهما معهدان يعادلان الشهادة الثانوية، ويشترط للقبول فيهما حفظ القرآن الكريم، وقد تخرج فيهما عدد كبير من الطلاب، التحقوا ببعض الجامعات، كذلك ينضم تحت هذا القسم الدروس العلمية، والقوافل الدعوية،

أجيز من أكبر علماء أبشه، وعمره يناهز العشرين، ومحافظة أبشه في وقتها بلد العلم والعلماء في تشاد

وقد حظيت هذه المنظمة بثقة المجتمع هناك، وكثير من المسؤولين في الدولة.

وقد زرته في تشاد أكثر من مرة ووالله ما طلب يوماً شيئاً لنفسه، رغم كثرة الواردين عليه في بيته من جميع أنحاء تشاد، سائلين ومستشيرين ومستفتين، وكان يحضر دروسه جمع غفير من أطياف المجتمع ومذاهبهم، وكانت دروسه في ساحة عامة، وليست في أحد المساجد وكانت وجهة نظره أن ينتفع به الجميع دون أن يحسب ضمن فئة معينة فيحرم أحد من علمه ودروسه.

دروسه وشروحاته

وقد شرح في تلك الساحة سلم الوصول أكثر من ثلاث مرات، فضلا عن دروس التفسير والفقه واللغة، وله درس فجر كل جمعة خاص ببعض المشايخ الكبار، يحضره عدد لا بأس به من الشيوخ، وقد حضره أحد الزملاء يوماً، ومن تواضع الشيخ أنه قال له تلك الليلة: الدرس غدا مع المشايخ لك وألزمه بذلك، يقول الأخ: فقدمت الدرس على استحياء.

مما تميز به

ومما يتميز به الشيخ حفظ لسانه وعدم انتصاره لنفسه رغم وجود المناوئين له من بعض الطوائف الأخرى، وما سعوا به ضده أمام المسؤولين.

وفاته -رحمه الله

في يوم الجمعة الموافق ١٨ شوال كان في طريقه إلى محافظة أبشه في تشاد لتخريج دفعة من حفاظ كتاب الله -تعالى- فحصل له حادث، أصيب على إثره بشلل نصفي من السرة فأسفل ثم نقل إلى مصر للعلاج، ولكن حصل له إغماء من يوم الجمعة ثم توفي قبل فجر الاثنين ٢٨ شوال.

سافر الشيخ إلى السودان فحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في جامعة القرآن الكريم، في التفسير وعلوم القرآن

رؤية يوم وفاته

وقد ذكر لي أحد الإخوة الأفاضل وهو من أهل الخير والصلاح العبادة وصفاء السريرة - فيما نحسبه والله حسيبه -أنه كان نائماً ظهر الجمعة - وهو اليوم الذي دخل الشيخ فيه في غيبوبة - فلما استيقظ أخذته غفوة فسمع قائلاً يقول: إن الشيخ يحيى يختار الآخرة على الدنيا، يقول فلما استيقظت اتصلت بمرافق الشيخ وسألته عنه فقال إن الشيخ دخل اليوم في غيبوبة.

أسمعني القرآن

وقد ذكر مرافق الشيخ في المستشفى أن الشيخ يقول له كثيراً أسمعني القرآن، اقرأ علي القرآن، فأقرأ عليه، فلما كان يوم الجمعة قال اقرأ علي سورة الرعد، فقرأتها وكان يقرأ معي، فلما ختمتها قال: هي أربع وأربعون آية وهي مكية - وهي أربع وأربعون في عد البصري، والشيخ يقرأ برواية الدوري عن أبي عمرو البصري، والسورة مكية على قول - ثم قال الشيخ: قد انتهى كل شيء، أنزلوني من السرير، ثم أغمي عليه، حتى توفاه الله، -رحمه الله- وغفر له وتقبل منه.



فوائد عقدية وتربوية من فتح مكة

مركز سلف للبحوث والدراسات

مكة هي أم القرى ومهبط الوحي وحرم الله وقبلة الإسلام، ومنها أذن إبراهيم لساكنة الكون يدعوهم لعبادة الله -سبحانه وتعالى-، وأمر بتطهير البيت ليختصّ بأهل التوحيد والإيمان، فكانت رؤية البيت الحرام مؤذنة بالتوحيد ومعلمة به، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج: ٢٦)؛ ولذا فإن استرجاع هذا البلد من يد الشرك التي اغتصبته وإرجاعه إلى الحنفية السمحة لا يمكن أن يكون حدثًا جانبيًا في الكون فضلا عن الدين، وقد امتنّ الله -عز وجل- على نبيه -ﷺ- بأن فتح على يده هذا البلد الحرام.

ولم يكن ليقعَ ذلك إلا على يد رسول الله -ﷺ-؛ لأن فتح هذا المكان يحتاج تشريعًا خاصًّا به وشرائع تشرع بعده ما كان الناس ليهتدوا إليها، وحين نقف وقفةَ تأمل مع هذا الحدث العظيم فلا شكّ أن التأملات سوفَ تذهب بنا كلّ مذهب، لكن حسبنا حتى لا نشتّت القارئ أن نختصر له الفوائدَ في جانبين مهمّين، ألا وهما الجانب العقدي والجانب التربوي؛ لما لهما من أثر فيما سواهما من أمور الدين والدنيا:

الفوائد العقدية

من الطبيعي أن تكون هناك فوائد عقديّة جمّة في فتح مكة؛ لأنها معركة دينيّة بحتة، تقاد من أجل استرجاع أهمّ بقعة للتوحيد على وجه الأرض، ومن هذهَ الفوائد العقدية:

عناية الله

أولا: عناية الله -سبحانه وتعالى- بالحدث، وتولي محاولات إفشاله السرية التي قد تخفى على النبي -ﷺ-، فعن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: بعثني رسول الله -ﷺ- أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب، فخذوه منها»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجِنّ الكتاب أو لنلقِيَنّ الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله -ﷺ-، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله -ﷺ-، وهذا من عناية الله -عز وجل- بهذا الحدث أن كشف محاولةَ إفشائه من فوق سبع سماوات لنبيه -ﷺ- عن طريق الوحي.

أحكام الولاء والبراء

ثانيًا: تبيين بعض أحكام الولاء والبراء، فقد كان فعل حاطب هذا سببًا في تبيين حكم مظاهرة المشركين على المسلمين، وأن ذلك محرّم، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (الممتحنة: ١). فقد نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وفيه أيضا أنّ الولاء المخرج من الملّة هو ما كان بالقَلب؛ ولذا استفسر النبي -ﷺ- حاطبًا، فلما قال له حاطب: لا تعجل عليّ يا رسول الله؛ إني كنت امرأً من قريش، ولم أكن من أنْفسِهمْ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببتُ -إذ فاتني من النسب فيهم- أن أصطنع إليهم يدًا يحمون قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني، فقال النبي -ﷺ-: «إنه قد صَدَقكم».

إبطال شرائع الجاهليّة

ثالثًا: إبطال شرائع الجاهليّة وتحقيق التوحيد، وبيان أن ذلك هو ثمرة النصر؛

فحين دخل النبي -ﷺ- البيتَ في فتح مكة خطب فكبر ثلاثا ثم قال: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي، إلا ما كان من سقاية الحاجّ وسدانة البيت»، ثم قال: «ألا إن دية الخطأ شبه العمد -ما كان بالسوط والعصا- مئة من الإبل: منها أربعون في بطون أولادها.

إظهار التوحيد وإبطال الشرك

رابعًا: إظهار التوحيد وإبطال الشرك وكسر الأصنام، وتبيين أن ذلك من أولويات الدين؛ فالنبي -ﷺ- حين دخل مكة كان من أول ما قام به تحطيم الأصنام التي كانت تعبد من دون الله وإبطال عبادتها، فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: دخل النبي -ﷺ- مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاث مائة نُصُبٌ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «جاء الحقُّ وزهق الباطل، جاء الحقُّ وما يبدئ الباطل وما يعيد».

الفوائد التربوية

كان هذا الفتح العظيم مؤذِنا كذلك بإظهار أخلاق الإسلام في الحرب والسلم، وكيف يدير المسلمون حروبهم مع أعدائهم، وكيف ينظر إلى المسلم في الحرب ويتعامل معه، فقد أرسى النبي -ﷺ- قواعدَ الأخلاق في هذا الفتح وأظهرها للناس، ومن ذلك:

العفو عند المقدرة

أولًا: خلق العفو عند المقدرة؛ فالنبي -ﷺ- حين مكّنه الله من أعدائه الذين أخرجوه وأصحابه من ديارهم وآذوه وآذوا أصحابه لم يتعامل معهم بالانتقام، ولم يفعل بهم ما فعلوا به وبأصحابه؛ فقد قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: «ما ترون أني صانع بكم؟» قالوا: خيرا؛ أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ولم يجعل منها فيئًا قليلا ولا كثيرا، لا دارًا ولا أرضًا ولا مالًا، ولم يسبِ من أهلها أحدًا، وقد قاتله قوم فيها فقتلوا وهربوا، فلم يأخذ من متاعهم شيئا، ولم يجعله فيئا.

من ثمرات الفتح: إبطال شرائع الجاهليّة وتحقيق التوحيد، وبيان أن ذلك هو ثمرة النصر وإظهار التوحيد وإبطال الشرك

إنزال الناس منازلهم

ثانيًا: إنزال الناس منازلهم، فأبو سفيان كان سيِّد قريش، وقد جرت عادة الحروب أنه إذا هزم قوم أن يذلّ أسيادُهم، ولم يفعل ذلك رسول الله -ﷺ-، فقد أعلن -ﷺ- يوم الفتح أن «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. وحين أبطل شرائع الجاهلية لم يبطل منازل الناس، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي، إلا ما كان من سقاية الحاجّ وسدانة البيت».

إقالة أصحاب العثرات

ثالثًا: إقالة أصحاب العثرات من خيار الناس ووجوههم، فهذا حاطب -رضي الله عنه- حين أخطأ في إفشائه سرّ النبي -ﷺ- لم يهدِر النبيُّ حقّه وسابقته، وإنما ذكر له فضله السابق فردّ على عمر قوله وقال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

إقرار مبدأ الجوار

رابعًا: إقرار مبدأ الجوار، وتعظيم المرأة في الإسلام، فعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: ذهبت إلى رسول الله -ﷺ- عامَ الفتح،

كان هذا الفتح العظيم مؤذِنا بإظهار أخلاق الإسلام في الحرب والسلم، وكيف يدير المسلمون حروبهم مع أعدائهم

فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسلمتُ عليه، فقال: «من هذه؟»، فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: «مرحبا بأم هانئ»، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفًا في ثوب واحد، فلما انصرف، قلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتلٌ رجلا قد أجرتُه، فلان ابن هبيرة، فقال رسول الله -ﷺ-: «قد أجَرنا من أجرتِ يا أم هانئ»، قال ابن بطال: «فيه من الفقه: جواز أمان المرأة، وأن من أمّنته حرُم قتله، وقد أجارت زينب بنت رسول الله أبا العاص بن الربيع، وعلى هذا جماعة الفقهاء بالحجاز والعراق، منهم: مالك، والثوري، وأبو حنيفة، والأوزاعي، والشافعي، وأبو ثور، وأحمد، وإسحاق، وشذّ عبد الملك بن الماجشون وسحنون عن الجماعة فقالوا: أمان المرأة موقوف على جواز الإمام، فإن أجازه جاز، وإن ردّه رد. واحتج من أجاز ذلك بأمان أم هانئ؛ لو كان جائزا على كلِّ حال دون إذن الإمام ما كان علي ليريد قتلَ من لا يجوز قتله لأمان من يجوز أمانه، ولقال لها رسول الله: قد أمنت أنت وغيرك، فلا يحلّ قتله، فلما قال لها -ﷺ-: «قد أجرنا من أجرت» كان ذلك دليلا على أن أمانَ المرأة موقوف على إجازة الإمام أو ردِّه.

التواضعُ لله -عز وجل

خامسًا: التواضعُ لله -عز وجل-؛ فهذا رسول الله -ﷺ- وقد نصره الله على عدوه، ودخل مكّة عنوة، لم يدخلها دخول الجبابرة، ولا تصرف فيها تصرفَ الظلمة، بل أعلن التواضعَ لله -عز وجل-ودخل مطأطئًا رأسه -عليه الصلاة والسلام- ولم يقبل أن يكون دخوله دخولَ الجبابرة، وردّ على سعد قوله: اليوم تستحل الكعبة، فقال -عليه الصلاة والسلام-: كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظّم الله فيه الكعبة، ويوم تكسَى فيه الكعبة.

وفوائد فتح مكة لا تحصَى ولا تعدّ، وحسبنا ما يحصل به المقصود، واللبيب تكفيه الإشارة، وإلا ففتح مكة كان تأسيسًا لكثير من الشرائع في الصوم والصلاة والتعامل مع العدوّ، وغير ذلك، والله ولي التوفيق.

الشيخ خالد منصور لـ(الفرقان):

على طالب الفقه أن يحذر لصوص الطريق الذين يسرقون الأعمار لمصلحة التعصب المقيت والتقليد الأعمى

أجرى الحوار – أحمد الفولي

كان الاختلاف موجودًا على عهد السّلف من الصحابة - رضي الله عنهم - ومَن بعدهم، ومع ذلك لم يكن مَدْعاة للتعصُب ولا للتباغض، وكان غرَضُهم في اجتهادهم إصابة الحقّ واختيار الأفضل؛ ولذا كان بعضُهم يعذر الآخَر فيما اختلف فيه، ولا ينتقص له رأيًا، وفي القرن الرّابع الهَجري وما بعده بدأ التّقليد والتعصُب يكثران بين العلماء، واشتدّ الجدَل والخلاف في علم الفقه وغيره من العلوم الأخرى؛ ممّا أدى إلى تفشّي التعصُب المذهبي بطريقة خطيرة، تهدّد أصول الدّين وفروعه، وهذا هو الذي ذمّه الإسلام، وهو الذي أبعد الناس عن أصل الكتاب والسُنة، ولقاؤنا اليوم حول هذا الموضوع مع فضيلة الشيخ خالد منصور، -عضو مجلس شورى الدعوة السلفية بمصر.

● نرجو أن تحدثنا قليلا عن الإمام أبي حنيفة ومكانته.

■ بداية كل الشكر لمجلة الفرقان والقائمين عليها، على مجهودهم الكريم، في خدمة الأمة الإسلامية، والإعلام الإسلامي، أسأل الله أن يديمها منبرًا صادقًا، وأما الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- فهو فقيه الملة عالم العراق، آية من آيات الله في فقه النفس ورجاحة العقل و«أحد أذكياء العالم»، قال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيت رجلًا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته!

فقد كان -رحمه الله- صاحب عقلية فذّة ولياقة فقهية نادرة وصدر يسع المخالف برجاحته، كيف لا؟ وهو القائل: «نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا ونقوله غدًا ونرجع بعد غد»، ليضع بذلك «منار الرسوخ في العلم» لمن أراد اقتحام المتشابهات.

كان -رحمه الله- كما صورته لنا عين صاحبه أبي يوسف «ربعة، من أحسن الناس صورة، وأبلغهم نطقا، وأعذبهم نغمة وأبينهم عما في نفسه»، وعن المبارك قال: ما رأيت رجلا أوقر في مجلسه ولا أحسن سمتًا وحلمًا من أبي حنيفة، مع ما استفاض عنه من ورع وتقى وتفضل على إخوانه.

● ما إسهامات مدرسة الإمام أبي حنيفة في خدمة الفقه الإسلامي؟

■ الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، فالإمامة في الفقه ودقائقه مُسلّمة إلى هذا الإمام بلا شك، كما قال فقيه الدنيا الإمام الشافعي، ولقد كان أبو حنيفة -رحمه الله- يطرح المسألة على أصحابه وتلامذته، حتى إذا أعيوا في الجواب عنها جاءهم فيها بالعجائب من التأصيل والتفصيل، فإن وجد لها أصلا في كتاب الله فذاك، وإلا صال



كان أبو حنيفة -رحمه الله- يطرح المسألة على أصحابه وتلامذته، حتى إذا أعيوا في الجواب عنها جاءهم فيها بالعجائب من التأصيل والتفصيل

وجال في رحابة القياس والإلحاق فاستخرج من الدليل ما يخفى على البصير.

كان أبو حنيفة -رحمه الله- إمامًا لا يُنازع، وفقيها لا يُضارع، استعاض عن نضوب معين الآثار الروايات بغزارة عين القياس والاستنباط، وقد ربّى الإمام أبو حنيفة زمرة من شموس الفقه والفكر الإسلامي المتين أمثال (محمد بن الحسن) و(أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم) و(ظفر) وغيرهم، وقد كان لهم آثار عظيمة في خدمة الفقه الإسلامي بعامة وفقه «السياسة الشرعية» بخاصة.

ظل المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي لدولة الخلافة طيلة عشرة قرون متتالية، وذلك من أوائل الدولة العباسية إلى نهاية الخلافة العثمانية ١٩٢٤م، ولذلك كان أكثر القضاة في التاريخ على المذهب الحنفي، وكانوا من أخبر الناس بأمور الملك والسلطنة والحرب والمهادنة وإدارة الموارد والأموال، والناظر في اختيارات (شيخ الإسلام ابن تيمية) في دقائق مسائل السياسة الشرعية، يجد أنه يختار غالبا (من روايات مذهب أحمد ما كان موافقا لمذهب أبي حنيفة، فالمدرسة الحنفية أعرق مدارس الرأي على الإطلاق، لكم كنت أتألم لقلة حظهم من نصوص السنة وعراقة الآثار والروايات، ولكني أعود فأسلي ألمي بما قاله رسولنا الكريم: «رب حامل فقه ليس بفقيه، رب مبلغ أوعى من سامع، رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

● كيف ساهمت مدرسة الحديث في بناء الفقه الإسلامي؟

■ أهل الحديث هم آل النبي -ﷺ-، وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا، فهم وعاة العلم وأوعيته، وحفظة الآثار والأخبار، دواوين تمشي على أرض الهدى تهدي حيران يطلب نجوة لنجاة، إذا أعجب أهل الرأي برأيهم اختال أهل النقل بمنصوص حديثهم.

حفظت لنا مدرسة الحديث شرعة النبي أقوالاً وأفعالاً، وأدت ما حملت غضًا طريًا، لم يشب، فتفاخر المسلمون برائق نتاجهم على أمم الأرض، وحضارات السابقين من كتب (الصحاح) و(السنن) و(المسانيد) و(المعاجم) و(الأطراف)، وغيرها مما لم تعرفه أمة قط قبلها عن نبيها، فقد سجلوا لنا أقوال صاحب الشريعة وأفعاله وتقريراته بل سجلوا لنا(سكوته)!!.

وإن تعجب.. فعجب سؤال (راوية الإسلام) أبي هريرة -رضي الله عنه- لرسول الله -ﷺ-: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أرأيت (سكوتك) بين التكبير والقراءة ما تقول؟!

فتراثهم مفخرة الأجيال وقواعدهم الصارمة لضبط المرويات أدهشت العالمين، وإسهامهم في حفظ أصل عظيم من أصول الفقه الإسلامي -وهو نصوص السنة- لا ينكره إلا جهول معاند، وحبذا لو تضافرت هذه القدرات الهائلة والطاقات الجبارة لأهل الفقه وأهل الحديث، في صيانة جناب الشريعة، كما فعله جهابذة الإسلام الأوائل (كمالك والشافعي وأحمد) -رحم الله الجميع-، واستثمروا هذا التنوع الهائل في طرائق خدمتهم للشريعة، لعدنا إلى كمالات زمن السلف الأوائل عبقرية الاستنباط بنضارة الحديث والآثار.

● كيف ترى أهمية كتب التراث؟

■ كانت الأمم قبل الإسلام على ضربين: حضاريون ماديون أصحاب نتاج ثقافي مغرق في الترف العقلي والفلسفات النظرية، كاليونان والرومان والفرس والهند،إعماق وإغراق في عالم اللا أشياء، يزعمون أنهم يطلبون الحكمة للحكمة، ويستهلكون الأعمار في جدليات عقيمة إمعانا في تنمية معارفهم بلا عائدة.، والثانية، (قبليون برابرة) لا حياة لهم إلا كعيش الوحش في البرية، أعداء العلم والمدنية والعمران، كلما بنى الأولون (قصرًا) هدم الآخرون (أمصارا).

حتى جاء الإسلام فأنار الدنيا بوحي السماء، وذُللت ألسنة البشر بكلام رب العالمين، وزكت نفوسهم بنور الإيمان، وقام فيهم رسول الله معلما، فأقاموا في العالمين حضارة حقيقية بالعلم النافع والعمل الصالح، وتركوا وراءهم تراثا أدهش الدنيا بما أوجده من حلول واقعية ميسورة لأزمة التجانس بين الدين والعلم، وأراح العالم من صخب الحرب المفتعلة بين العقل والنقل، فأخذ أساطين العلم وأرباب التراث الإسلامي على عاتقهم مسؤولية تقويم عوج الحياة؛ فأصلحوا ما أفسده (البرابرة)، وهدوا من ضللهم (الفلاسفة)، وأعادوا البشرية إلى مسارها الصحيح في ربط الأرض بالسماء، وأهدوا إلى الغرب الأوربي (قبلة الحياة) في أشد لحظات (احتضاره الحضاري)، وتركوا لنا كل ذلك التراث الثقافي بحق، فهل من مدكر؟!.

● بم تنصح من يهاجمون كتب الأئمة الأربعة ويتهمونها بالتكفير والإرهاب أو أنها كتب صفراء؟

■ أقول لهم، لو قرأتموها، لوجدتموها «تسر الناظرين»، فكفى الفقه وطلابه شرفًا قول النبي -ﷺ-، «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»، ومن عجب، أن نسمع ونرى من يتهم كتب الفقه التي ترجمت لنا نصوص الشريعة السمحة بأنها كتب (التطرف والإرهاب)، وما أسرع أن يزول العجب إذا علمنا يقينا أنهم ما قرؤوها ولو قرؤوها لما فهموها، وإنا لنحاكم إلى أبواب الجهاد ليعلموا أن لسيوف المسلمين أخلاقا، وإلى أبواب (البيوع) ليعلموا كيف عظم الإسلام

ربّى الإمام أبو حنيفة زمرة من شموس الفقه والفكر الإسلامي المتين أمثال (محمد بن الحسن) و(أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم) و(ظفر) وغيرهم

حرمة الأموال التي هي عصب الحياة، وكيف وضع أدق القواعد والقوانين لصيانة الأموال وشرح تنميتها وتثميرها؟ ونحاكم إلى أبواب (الصلح وأحكام الجوار)، ليعلموا كيف أسس الإسلام أرقى قواعد علم الاجتماع، وأرسى نظم الحضارات؟.

إن من وصف كتب الفقه الإسلامي بهذه الأوصاف الباطلة من أنها سبب التطرف والإرهاب، مازاد إلا أن وصف نفسه في الحقيقة بالجهالة.

• كتب الفقه مليئة بالتيسير والسماحة بخلاف ما يروجونه عنها، نرجو التوضيح.

■ يحرص أعداء الشريعة الإسلامية دائمًا على افتراء الشائعات والأكاذيب، ضد سماحة الأحكام الشرعية لعلهم لا يعجزون عن الظفر بجملة مسائل تحقق لهم بعض ما يتوقون إليه، وللجواب على ذلك أقول: إن عقد موازنة يسيرة بين الشريعة الإسلامية وما في الشرائع المنسوخة من آصار وأغلال كفيل بكشف اللثام عن هذه الفرية، وكذا لو كلفوا أنفسهم بشيء من إمعان النظر فوازنوا بين أحكام الشريعة والقوانين البشرية الأرضية لظهرت لهم معالم التيسير واضحة جلية، وأما ما يظفرون به من مسائل تتضح فيها مظاهر التشديد والصعوبة فلا تخلو من أحد حالين، إما أن يكون صحيح النسبة إلى الشريعة الإسلامية ومشقته معتادة مقدورة للمكلفين من غير عنت أو ضرر (كغسل الجنابة) و(إتمام الصلاة الرباعية) و(صوم رمضان على سبيل الحتم والإلزام)، نحوها من التكاليف، فهذا لا نتحرج من وجوده، فإنه لا يخلو تشريع سماوي ولا حتى أرضي من إلزام ما فيه مشقة، ومع ذلك تأتي الرخص الشرعية في هذه الأبواب ونظائرها (كالتيمم بدلا عن الغسل والوضوء)، و(قصر الصلاة الرباعية)، و(جواز الفطر في رمضان) للمريض والمسافر، كل ذلك عند التضرر بالتزام الأصل.

أماالقسم الثاني من الأحكام التي يظهر فيها التشديد والمشقة مما لا يعتاده الناس بل يتضررون به أشد التضرر، فهذا لا يخرج عن كونه زلة لبعض العلماء، سرعان ما ينكشف ضعفها بل زيفها بمجرد عرض المحققين لها على أدلة القرآن والسنة وقواعد الشريعة الغراء، هذا غير ما لا يخلو منه باب من أبواب الفقه من مظاهر التيسير في التشريع ابتداء، ولا يحتاج المكلف معه إلى رخصة أو حيلة أو تذرع إلى الهروب من امتثاله.

• بم تنصح طلاب العلم المبتدئين الذين يريدون دراسة الفقه؟

■ ١ - على كل طالب علم عامة وطالب الفقه خاصة، أن يخلص النية لله وأن يحرر القصد في طلبه؛ فإن للفقه صولة قد تغتال إخلاص الطالب لربه في مذاكرته ودرسه.

٢ - على طالب الفقه أن يحذر من لصوص الطريق الذين يسرقون أعمار الطلاب لمصلحة التعصب المقيت والتقليد الأعمى، فإن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

٣ - على الطالب أن يهتم بالدراسة الموضوعة على خطة واضحة ذات مراحل يعرف بدايتها ونهايتها فإن الطلب بلا خطة مهلكة للطاقة، مضيعة للأعمار.

٤ - عليه ألا يسلك سبيل الانتقال قبل الإتقان وأن يبدأ بصغار العلم قبل كباره؛ فإن طعام الكبار سم الصغار.



٥ - إذا رزق الطالب همة في الحفظ فلا يهلك طاقته في حفظ متون نثرية أو شعرية، قبل حفظ القرآن ونصوص السنة النبوية؛ فإنها بحق أصول العلم والفهم، ثم إن وجد فسحة في الوقت والجهد فليعمد إلى حفظ المنظومات الشعرية؛ فإنها سهلة العبارة سريعة الحفظ قريبة إلى النفس؛ فليبدأ من المنظومات اليسيرة التي لا تزيد على عشرات الأبيات ثم منها إلى المئات ثم الألفيات؛ فإنها تجعل العلوم بين عينيه.

٦ - على الطالب ألا يدخر وسعا في كثرة التكرار والمراجعة، فإنه لا ينال العلم براحة الجسم، والعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

٧ - ملازمة الشيوخ والطلاب الكبار تختصر لك الأعمار.

٨ - عليك بالتواضع ولين الجانب والصبر على نفرة الشيخ وتضجره

اصبر على مر الجفا من معلم
فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق مر التعلم ساعة
تجرع ذل الجهل طول حياته.

٩ - عليك بتدوين كل فائدة تطرأ في طريق



طلبك، ولا تترك القلم والأوراق والمذكرات طوال رحلتك؛ فالعلم صيد والكتابة قيد.

١٠ – الدعاء الدعاء، أن يلهمك الله رشدك وأن يقيك شر نفسك، وأن يحبب إليك العلم والعمل به والصبر عليه والدعوة إليه.

● بعض طلاب العلم يرى أن مذهب الحنابلة به شيء من الصعوبة فهل هذا حقيقي أم لا؟

■ هذا غير حقيقي قطعا؛ فإن الدارس للمذهب الحنبلي يرى، أنه أيسر المذاهب أحكامًا وأقلها تفريعًا تشقيقًا، وأندرها استعمالاً للقياس في مقابلة النصوص؛ وذلك لأنه أكثر المذاهب الإسلامية استدلالاً بالأحاديث والآثار، وقد تقرر أن نبينا قد بُعث (بالحنيفية السمحة)، فأولى الناس بالسماحة والتيسير هم أولى الناس بالأحاديث والآثار.

و بإجراء موازنة بين المذهب الحنبلي والحنفي مثلا في عدة أبواب عدة يظهر لنا الفرق جليا بين المذهبين.

● أخيراً شيخنا الكريم، الدراسة المذهبية، رأينا من يوجبها ومن يحرمها، فبم تنصح طلاب العلم الذين يريدون دراسة الفقه على المذاهب الأربعة؟

■ لقد عني سلفنا وأئمتنا الأربعة وغيرهم (بتحقيق الاتباع)، من خلال قواعد وضوابط (لتفسير) نصوص الشريعة الإسلامية قرآنا وسنة هي أصول مذاهبهم التي ساروا عليها، وهذه القواعد تختلف قربا وبعدا من (محكمات الشريعة الغراء)، فما كان منها معبرا عن هذه المحكمات (كنصوص الوحيين والإجماع القديم والقياس الجلي) فعلى العين وعلى الرأس، وما كان منها داخلا في دائرة (المتشابهات) فهو مما (يحتج له لا به).

وهنا يأتي قول الإمام مالك –رحمه الله-: «كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر» يعني نبينا الكريم. فأصول المذاهب وفروعها ماهي إلا طرائق لتفسير مراد صاحب الشريعة، فالتقليل من شأنها جفو يصل إلى حد الفوضى التشريعة، والمبالغة في الاعتماد عليها دون مناقشة علمية للوصول إلى تحقيق الاتباع غلو يصل إلى حد التعصب المقيت لأشخاص غير معصومين، مما يؤدي بلا شك إلى شلل فكري وضمور مهلك للإنتاج العلمي وتوقف قسري لحراك الأمة الثقافي، فالحق وسط بين طرفين بلا غلو – أو جفو.

وطريقتنا في الدراسة المذهبية تسعى إلى ما يلي:

١ – تحقيق اتباع النبي وتعظيم أدلة الوحيين.

٢ – توقير أئمة الفقه من سلف الأمة وإنزالهم منازلهم .

٣ – الاستفادة من هذا التراث الضخم لشراح المذاهب.

٤ – رفض التعصب لأشخاص غير معصومين مهما علا قدرهم.

٥ – الوصول إلى إيجاد الشخصية المتزنة لطالب العلم.

٦ – إثراء عقلية الدارس بالمران الفقهي المتواصل .

٧ – التصور الصحيح للمسألة قبل قبولها أو نقدها.

٨ – التحرز من الأعراض الجانبية للمذهبية غير المنضبطة.

٩ – المرونة الفكرية بالخروج من مدرسة القول الواحد.

١٠ – الثقة اللائقة بالشريعة وصلاحيتها لتقويم الحياة .

وهذه الأهداف نصل إليها من خلال:

● المقدمة التي نحرص على تكرار خلاصتها عن ضوابط التمذهب في كل كتاب وباب من الروض المربع.

● ذكر الخلاف في أكثر المسائل ومعظمها.

● حرصنا على بيان (اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية) في كل مسألة في الكتاب له فيها اختيار دونما استثناء.

● ذكر (المفردات في المذهب الحنبلي).

● كثرة التأكيد على أن (معتمد المذهب) ليس نصا ولا إجماعا ولا وحيا معصوما.

● ذكر الروايات والوجوه الأخرى، بل والإكثار منها – أحيانا – عند الحنابلة خاصة.

● الاهتمام (بالتحليل والتعليل والتدليل) في دراسة المتون المذهبية وشروحها.

● كذلك (التحقيق والتدقيق والتعليق) من كتب الأكابر.

وأخيرا ... هل علمتم فضل نعمة ربكم عليكم أن وفقكم لهذه الطريقة السلفية في دراسة الكتب المذهبية؟

قولوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

عني سلفنا وأئمتنا الأربعة وغيرهم (بتحقيق الاتباع)، من خلال قواعد وضوابط (لتفسير) نصوص الشريعة الإسلامية قرآنا وسنة

الأبناء والإدمان الالكتروني

د.قذلة بنت محمد القحطاني

قال ابن القيم -رحمه الله-: «وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوّت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد- رأيت عامته من قبل الآباء» (تحفة المودود ص ١٤٦)، ولله دره كلمات عظيمة! من إمام رباني وكأنه يعيش بيننا في هذا الزمن! فكم من والد سعى في إسعاد ابنه بهدية هي عبارة عن جهاز كان فيه فساد ابنه ودمار أخلاقه!

عن معقل بن يسار المزني- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال في مرضه الذي مات فيه: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة» (رواه البخاري ومسلم واللفظ له)، وفي لفظ للبخاري: «ما من مسلم يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة».

مخدرات العقول

وبناء على مانعيشه في هذا الزمن من انتشار شبكات الخطف ومخدرات العقول، التي خطفت الدين والأخلاق والقيم أقدم هذه الكلمات نصحا للأمة نصيحة مشفق محب لإخوانه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وتحذيرهم مما انتشر في بلاد المسلمين من الانفتاح على التقنيات والجوالات وشبكات الإنترنت، ومانتج عن ذلك من وجودها في كل بيت، ومايدور فيها من إلحاد، وكفر، وشبهات، وفتن، ومقاطع غير أخلاقية مما سهل تناوله وتيسر الوصول إليه للصغير والكبير...!

ومع ذلك صار أكثر الآباء والأمهات في غفلة عما يدور في أيدي أبنائهم وبناتهن وأطفالهم، بل ربما كانوا هم السبب في إيصال هذه الأجهزة إلى أيديهم، وفتحوا هذه الشبكات على مصراعيها، وتفننوا في اختيار أعلى السرعات وعلى مدار اليوم، هدر للأوقات والأعمار! من موقع إلى آخر، ومن مقطع إلى آخر، ومن سناب إلى آخر، ومن حساب إلى آخر.

ألم نسمع قول الله -تعالى-: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦).

الواقع مؤلم والنتيجة أشد ألمًا، أطفال يتلفظون الكفر والإلحاد! أطفال يتابعون أفلام الرعب والقتل والاعتداء!، أطفال يتناقلون مواقع إباحية!، أب يكتشف ابنته ١٠ سنوات ترسل لصديقتها كيف تتعلم الحب!، أم تكتشف ابنها يلعب مع نصراني ويحاوره عن الديانة المسيحية!، أم تتفاجأ أن ابنها أصبح مع عبدة الشيطان!، تعلم فنون السرقة والغصب!، ألعاب شيطانية!، قصص وقصص واقعية، وما خفي أعظم.

هل ننتظر حتى تقع الطامة والمصيبة؟ وهل أصبحت هذه الشبكات ضرورة في كل بيت وعلى مدار الساعة ولا محدود، ليعلم كل أب وأم أن هذه، أمانة ورعية سوف يسأل عنها أمام الله.

كُلُّكُمْ رَاعٍ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه البخاري ومسلم، وهذا الحديث أصل في تحمل المسؤولية التي سوف يحاسب عنها الإنسان يوم القيامة، وهذه درجات المسؤولية لكل مسؤول؛ فكما نمنع عنهم البرد والحر والجوع



أصبح العديد من أطفالنا ضحايا بريئة لهذه الشبكة العنكبوتية المترامية الأطراف فأدمنوها، وتاهوا في سراديبها

تفيد الإحصاءات بأن ٦٣٪ من المراهقين الذين يرتادون صفحات المواقع الإباحية لا يدري أولياء أمورهم طبيعة ما يتصفحونه

يجب أن نمنع عنهم فساد الدين والأخلاق!

الشعور بالخطر

وقد شعر المجتمع بهذا الخطر فعقدت مؤتمرات عدة لدراسة كيف نحمي الأطفال من خطر هذه الشبكات؟ وألفت الكتب في بيان خطرها على الناشئة، يقول د.محمد علي صالح الغامدي -عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى المملكة العربية السعودية- في كتابه الإنترنت وخطره: «وهذه النافذة التي فتحت هي الإنترنت أو ما يحلو للبعض بتسميتها بالشبكة العنكبوتية فلقد اقتحمت حياتنا، ودخلتها على حين غفلة منا، لم ندرك متاهاتها، تقبلناها بنوع من السذاجة في كونها مصدراً للنهل من العلم والثقافة، لم نجعل لها ضوابط، تغاضينا بمحض إرادتنا عن الساعات الطويلة التي يقضيها أطفالنا في دهاليزها، نسينا أو تناسينا -بسبب انشغالنا- عن التحري عما يصل إلى أسماع أطفالنا أو ما تراه أعينهم، والنتيجة أصبح العديد من أطفالنا ضحايا بريئة لهذه الشبكة العنكبوتية المترامية الأطراف فأدمنوها، وتاهوا في سراديبها؛ فمن التشات مروراً بمواقع الكورة وتنزيل الأغاني الحديثة والكليبات.

٦٣٪ من المراهقين

وتفيد الإحصاءات بأن ٦٣٪ من المراهقين الذين يرتادون صفحات المواقع الإباحية لا يدري أولياء أمورهم طبيعة ما يتصفحونه، وأن أكثر مستخدمي المواد الإباحية تراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٧ سنة، والصفحات الإباحية تمثل بلا منافس أكثر فئات صفحات الإنترنت بحثاً وطلباً»!

ثم ذكر جملة من أخطارها ومن أبرزها:

١- الانعزال والانطوائية للمستخدم.

٢- التعرف على صحبة السوء.

٣- زعزعة العقائد والتشكيك فيها.

٤- نشر الكفر والإلحاد.

٥- الوقوع في شراك التنصير.

٦- تدمير الأخلاق ونشر الرذائل.

٧- التقليد الأعمى للنصارى والافتتان ببلادهم.

٨- إهمال الصلاة وضعف الاهتمام بها.

٩- التعرف على أساليب الإرهاب والتخريب.

١٠- الغرق في أوحال الدعارة والفساد.

١١- إشاعة الخمول والكسل.

١٢- الإصابة بالإمراض النفسية.

١٣- إضاعة مستوى التعليم.

ما دورنا بوصفنا أولياء أمور؟

وبناء على ماسبق ما دورنا بوصفنا أولياء أمور، ومسؤولين أمام الله عن هذه الرعية؟ وما دور المربين والمعلمين لاسيما وقد لاح بارق الخطر، وعاث مفسدوه في الأرض فسادا؟ فلا بد فيه من تضافر الجهود الفردية والجماعية كافة لإصلاح أوضاع الجيل بشرائحه كافة، ونناشد الجهات الرسمية الحد من هذه المواقع وحجبها، والسعي لإيجاد حلول جذرية تستأصل جذور هذا الفساد وهذه المواقع الإباحية والإلحادية، والله المستعان وعليه التكلان وما ذلك على الله بعزيز.

وأنبه على أهمية دور المعلمين والمعلمات والمربين والمربيات في درء هذا الخطر، وفتح المحاضن واحتواء الجيل، والقيام بالدور المطلوب، وبذل الجهد في إنقاذ الشباب، واستغلال هذه الطاقات المهدرة وتوجيهها.

أكثر مستخدمي المواد الإباحية تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٧ سنة، والصفحات الإباحية تمثل -بلا منافس- أكثر فئات صفحات الإنترنت بحثاً وطلباً»!

- غرس العقيدة الصحيحة ومراقبة الله -تعالى.
- القضاء على الفراغ الذي يعانيه النشء ولاسيما في فترة الإجازات، وما يكون فيها من التفرغ لهذه الأجهزة.
- القدوة من خلال الاستخدام الصالح والمفيد لإنترنت.
- الاستفادة من النشء في استخدام التقنية لنشر الإسلام والتعريف بمحاسنه.
- تحديد أوقات استخدام الشبكة وإغلاقها فيما عدا ذلك.
- فرض قواعد واضحة لاستخدام الانترنت في المنزل تحدد فيها الأماكن والأوقات المسموحة والممنوعة.
- التعرف على البرامج والتطبيقات التي تجهل عن الانترنت وتعرف بنفسك المواقع التي يستخدمها الأولاد والجلوس معهم، ومعرفة ماذا يدور في عالمهم، ومَنْ جلسائهم إكترونيا؟!
- استخدم أدوات التصفية للمحتوى المتاحة حاليا على الأجهزة المحمولة ومنع الأطفال من امتلاك هذه الأجهزة وبيان خطرها عليهم.
- الالتفاف حول العلماء وربط الشباب بالعلماء والمربين.
- توسعة المؤسسات الدعوية والتربوية التي يمكن أن تستوعب الشباب من الجنسين، وإعداد البرامج المشوقة الجاذبة.

الحلقات القرآنية

وما أحوج الأمة لدور الحلقات القرآنية! فكم أنقذ الله بها من جريح يحتضر، وتائه يتخبط في دروب الظلال، ومأسور في شباك الهوى والغفلة! فأحيا الله بها نفوساً غرقى، وأرواحاً شعثا، وأصلح بها قلوباً غلفا! وأحوالاً شتى! فجزى الله من قام عليها خير الجزاء.

وأخيراً أسأل الله -تعالى- أن يمن على المسلمين بجعل هذه الشبكة سببا لنشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ويكفي المسلمين وأبناءهم شرها وفسادها وفتنتها والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

قواعد في المنهج السلفي (1)

التمسك بفهم الصحابة للكتاب والسنة والعمل بهما

م. سامح بسيوني

بيان قواعد المنهج السلفي المبارك أمر واجب لبيان طريقة السلف في فهم الأدلة وطرائق الاستدلال بها، بنهج لا يلتبس معه الأمر على من يريد الاقتداء بالسلف والسير على طريقتهم والتعرف على مسائل العقيدة وأصول الدين طبقا للمنهج الصافي النقي الصحيح، ولاسيما بعد ازدياد النزاع حول مسائل العقيدة بين الفرق الكلامية المختلفة مع اجتماعهم على الطعن في المنهج السلفي وادعاء الكثير من أصحاب المذاهب المبتدعة أنهم على الحق.

ونعني بقواعد المنهج السلفي، الأسس التي وضعت لفهم النصوص الشرعية والاستدلال بها، ومن التتبع والاستقراء لطريقة السلف في الاستدلال سنجد أن هناك ثلاث قواعد مميزة للمنهج السلفي في الفهم والاستدلال عن غيره من المناهج وهي:

(1) التمسك بفهم الصحابة -رضوان الله عليهم.

(2) تقديم النقل على العقل «أو» ضبط العلاقة بين العقل والنقل،

(3) رفض التأويل الكلامي.

معلم واضح

وسنجد أيضا معلما واضحا لهذا المنهج متعلق بتلك القواعد الثلاث المميزة وهو: كثرة الاستدلال بالآيات والأحاديث.

ولعلنا نشرع -بعون الله تعالى- في بيان ملامح هذه القواعد الفارقة وهذا المعلم الواضح باختصار لعلنا نضبط بها المفاهيم المغلوطة، ونصحح بها الموازين المختلة.

القاعدة الأولى

التمسك بفهم الصحابة للكتاب والسنة وعملهم بهما، يقوم المنهج السلفي على التمسك بالكتاب والسنة وفق فهم الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن أخذ عنهم من التابعين وتابعي التابعين ومن تابعهم بإحسان، فيقدمون فهمهم على كل فهم للكتاب والسنة - كما بينا سابقا- وذلك في جوانب العقيدة وتفسير القرآن وفهم معانيه وفى الجوانب العملية خاصة فيما أجمعوا عليه.

في جانب العقيدة

فالصحابة -رضوان الله عليهم- لم يعرف عنهم الاختلاف في أمور العقيدة ولاسيما في التي ينبني عليها العمل، بخلاف بعض المسائل العقدية النظرية

التي لا ينبني عليها عمل في الدنيا وحدث فيها اختلاف كـ«رؤية النبي -ﷺ- لربه - أيهما خلق أولا العرش أم القلم؟».

لذلك فمن خالف ما أجمع عليه الصحابة في الاعتقاد صار من أهل البدع والأهواء؛ لأن ما ورد من إجماع الصحابة في المسائل الاعتقادية مبنى على فهمهم للآيات القرآنية والأحاديث وتطبيقهم لذلك الفهم عمليا.

بيان قواعد المنهج السلفي المبارك أمر واجب لبيان طريقة السلف في فهم الأدلة وطرائق الاستدلال بها

فهمهم للقرآن

التمسك بفهمهم في تفسير القرآنوفهم معانيه: يعد الخلاف بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جداً، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وهو بين التابعين أكثر منه بين الصحابة، فمن التابعين من جمع التفسير عن الصحابة، وربما تكلم في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال إلا أن الخلاف بين التابعين - يعد على الحقيقة بالرغم من هذا- قليلا بالنسبة إلى من بعدهم.

تقديم فهم الصحابة

لذا ففهم الصحابة للآيات القرآنية يقدم على من سواهم ممن خالفهم في ذلك؛ لأنه -كما قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله-: «يجب أن يعلم أن النبي -ﷺ- بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله -تعالى-: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي -ﷺ- عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعمل معاً جميعاً»، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة. وقال أنس: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد في أعيننا».

وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثماني سنين، وذلك أن الله قال: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾، وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ وتدبر الكلام دون فهم معانيه لا يمكن، وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم»؟!

مراتب تفسير القرآن

لذا فالأصل عن أهل السنة أن تفسير القرآن على مراتب:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- تفسير القرآن بالسنة.

٣- ما ورد عن الصحابة في تفسير آيات القرآن ثم ما ورد عمن بعدهم ومن أخذ عنهم من كبار التابعين.

فهمهم للأحكام الفقهية

التمسك بفهمهم في الجوانب العملية (الأحكام الفقهية): يعد ما أجمع عليه الصحابة من الأحكام الفقهية حجة ملزمه؛ فهم من شاهدوا التطبيق العملي للنبي -ﷺ- في أعماله وتوجيهاته بل ومارسوا ذلك التطبيق العملي أمام النبي -ﷺ-.

وأما ما اختلف الصحابة فيه من الأحكام وتعددت فيه آراؤهم، فيجب ألا يتم الخروج عن مجموع أرائهم على أن يقدم من أقوالهم أقواها اتصالاً بالكتاب والسنة؛ فالأئمة الأربعة -رحمهم الله- أصحاب المذاهب كانوا يتبعون أقوال الصحابة ولا يخرجون عنها ويصرحون بذلك، كما قال الإمام أبو حنيفة: -ﷺ- إذا لم أجد في كتاب الله -تعالى- ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه -رضي الله عنهم-، ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم رضي الله عنه.

وأما ما انفرد به الصحابي -رضي الله عنه- من قول أو فعل ولم ينقل عن غيره خلاف له فهو مما قد يعد إجماعا سكوتيا.

فإن كان ما انفرد به الصحابي -رضي الله عنه- مخالفا لبقية الصحابة فينظر إلى معارضة ما انفرد به في القول أو الفعل للأدلة الصحيحة، ويحمل الأمر في حال مخالفته للأدلة على خطأ في الفهم منه -رضي الله عنه- أو عدم معرفته بناسخ لما انفرد به، فيرد خطؤه إن تبين ويعذر في ذلك؛ لأن الصحابة على سعة علمهم وتقواهم ليسوا معصومين أفرادا وإن كان إجماعهم معصوما.

يقوم المنهج السلفي على التمسك بالكتاب والسنة وفق فهم الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن أخذ عنهم من التابعين وتابعي التابعين ومن تابعهم بإحسان

وقفاتٌ مع متّهمي السّلفية بالتعصُّب

الحضرمي أحمد الطلبة

باحث موريتاني

الميولُ إلى الظُّلم والحَيف سلوكٌ بشريٌّ ملازم للإنسان إذا لم ينضبط بالشرع ويعص هواه؛ فالإنسان كما قال الله -عز وجل- عنه: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)؛ ولذلك إذا اختلَف الناسُ وابتعَدوا عن الدين لم يكُن من رادٍّ لهم إلى الحقِّ إلا بعث الرسل لإبانة الحقِّ ودفع الخلاف.

فكان من مقاصدِ بعثة النبي -ﷺ- تبيين الحق الذي اختلف فيه الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤)، يقول -تعالى- ذكره لنبيه -ﷺ-: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا﴾ يا محمد ﴿عَلَيْكَ﴾ كتابنا وبعثناك رسولا إلى خلقنا ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ ما ﴿اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من دين الله، فتعرّفهم الصواب منه، والحقّ من الباطل، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها.

وحين يختلف الناس فإنهم جميعًا عرضةٌ للبغي والظلم، فيمكن أن يقعَ صاحبُ الحق في الظلم والبغي، لا من جهة قوله، وإنما من جهة إنكاره لما عند مخالفه من الحقّ والتجاوز في حقه بردّ كلّ قول قاله، وقد وقع الخلافُ في الأمة كما وقع في الأمم قبلها، ووقَعت فيما وقع فيه من كان قبلها من الظلم والبغي، ونحن في هذا المقال ندرس إحدَى ظواهر هذا الظلم والبغي، التي منها ترديدُ اتّهام السلفية بالتعصّب وجعله خصوصيّةً وميزة لها من بين المخالفين جميعهم لها، مع أن من وقع في التعصب من السلفيين وقع فيه بمقتضى بشريته لا بمقتضى منهجه ومذهبه، وهو في ذلك مخالف للمنهج الصحيح وما عليه السلف. وقد تولّى كبر تهمة السلفية بالتعصب جمعٌ من المشتغلين بالعلم وخلائقُ لا يحصَون من أهل الإعلام وحملةِ الأقلام، حتى باتت كالحقيقةِ المسلّم بها عند المتلقّي العادي والحياديّ، الذي يكسَل عن البحث عن الحقيقة، ويكتفي بالوجبات العلمية السّريعة.

ولنا وقفة مع هذا الاتّهام في النقاط التالية:

التَعصُّب داءٌ عامٌ

أولا: التّعصُّب داءٌ عامٌّ وليس خاصًّا بالسلفية، بل هو موجودٌ في التوجُّهات جميعها؛ فكثيرٌ من المخالفين للسلفيّة من المنتسبين للمذاهب الفقهيّة المرضيّة أكثرُ تعصُّبًا وجَورًا، وقد دلّ على ذلك موقفُهم من السلفية؛ حيث أخرجوها من دائرة أهل السنة، كما دلّ عليه أيضًا تعصُّبهم فيما بينهم، فهذا ابن نجيم الحنفي ينقل عن الشيخ أبي حفص قوله: «لا ينبغي للحنفي أن يزوّج بنته من رجل شفعويّ المذهب، وهكذا قال بعض مشايخنا، ولكن يتزوج بنتَهم، زاد في البزازية: تنزيلًا لهم منزلة أهل الكتاب». وهذا محمد بن موسى البلاساغوني الحنفي -قاضي دمشق- كان يقول: «لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية». وهذا إمام الشافعية إمام الحرمين الجويني يوجب على الأمة جميعها الانتسابَ لمذهب الشافعيّ في الأقطار كلها؛ فحين تكلّم عن تبني المذاهب وحكمه وضرورة الالتزام بمذهب معيّن في الفروع عقّب ذلك فقال: «نحن ندعي أنه يجب على العاقلين كافة وعامّة المسلمين شرقًا وغربًا بعدًا وقربًا انتحال مذهب الشافعي، ويجب على العوام الطغام والجهال الأنذال أيضًا انتحال مذهبه؛ بحيث لا يبغون عنه حوَلًا، ولا يريدون به بدَلًا، وجعل يستدلُّ لقوله ويقيم البيّنَة عليه، وفي الكلام ما فيه من مصادرة المذاهب الأخرى؛ إذِ الواجب لا يكون ضدّه إلا الحرام.

فحاصل الأمر أنّ إلصاقَ التعصّب بالسلفية وتبرئةَ غيرها منه خطأ علميٌّ من ناحيتين:

الناحية الأولى: أنّه وُجد عند خصوم السلفية من مظاهر التعصّب ما لم يوجد عند غيرهم، وهذا التعصب مؤصّل، وليس حالة عرضية جانبية.

والناحية الثانية: أن السلفية ترشّد التّمذهب ولا تناقضه، والواقع أكبر شاهد على ذلك، فجلُّ أعلام السلفية أتباع مذاهب ومنتسبون إليها، وإنكارهم على أهل المذاهب هو في تعصبُّهم، وتقصير المؤهّلين منهم في البحث عن الدليل واتّباعه، والاقتصار على النقل المجرد عن متأخري أهل المذهب والاكتفاء بذلك.

انتشار التكفير

ثانيًا: دعوى أن السلفية سبب في انتشار التكفير، وهي تهمة طالما أصمّت آذاننا، وردّدها أكثر من طرف، وحجّتُهم في ذلك أنّ تعصُّب السلفيين -على حدّ زعمهم- هو ما أنتج ظواهر معيّنة من التشدُّد الديني في العالم الإسلامي، والناظرُ في حال كثيرٍ من التيارات المتشدّدة يجد أنها لم تكن سلفيّة النشأة ولا المنبَت ولا حتى المرجعية، فمن المعلوم أن أغلب الحركات المتشدّدة خرجت من دول عربيّة معيّنة تتبنّى العلمانيّة بوصفها منهجا سياسيًّا والمذاهب الفقهية والعقيدة الأشعرية بوصفها نظاما تعليمي، وبسبب هذا التجهيل انتشَرت صورةٌ مشوّهة للإسلام، منتزعَة من صور عدة، فأخذوا من المذاهب رُخَصَها وتركوا راجحَها، ومن العقيدة الأشعرية عداءَها للسلفية، ومثلهم في ذلك أتباعُ هذه الحركات المتشدّدة من خريجي الجامعات الأوربية والأمريكية من حَمَلَة الجنسيات الغربية، فحين كانت المعاهد والدول المحسوبة على السلفيّة تتبنّى منهجَ محاربة التكفير والغلوّ بأساليب منضبطة لا تنكر شرعًا ولا تقرُّ باطلا، وعصم الله بها كثيرًا من شباب المسلمين من الغلو والانحراف، وها هي ذي القنوات الدينية الإسلامية ذات الصبغة السلفية بموادّها العلمية المركّزة كانت سببًا في تراجع مدّ الغلو في العالم وانحساره؛ إذا كانت المقاربات الأمنيّة والفتاوى الإقصائية سببًا رئيسيًّا في انتشار الغلوّ، وما انحسرت السلفية في مكان إلا وظهر فيه الغلوّ، وذلك أن السلفيّين يؤسّسون للممانعة المجتمعية بتمسكهم بالكتاب والسنة، ودعوتهم للاجتماع على إمام عادل، والبعد عن دعوى الجاهلية، سواء كانت قومية أم قبلية أم جهوية.

العافية الاجتماعية عند السلف

بينما غالبًا ما تلعَب التيارات الأخرى على هذه التناقضات وتستغلُّها، وقد لخّص الإمام المجدِّد محمد بشير الإبراهيمي العافية الاجتماعية عند السلف التي حقّقوها عبر منهجهم بقوله: «أقام سلفنا الصالح دِين الله كما يجب أنْ يقام، واستقاموا على طريقته أتمّ استقامة، وكانوا يقِفون عند نصوصه من الكتاب والسنة، لا يتعدونها ولا يتناولونها بالتأويل، وكانتْ أدواتهم لفهْم القرآن: روح القرآن، وبيان السنة، ودلالة اللغة، والاعتبارات الدينية العامة، ومِنْ وراء ذلك فطرة سليمة، وذوق متمكّن، ونظر سديد، وإخلاص غير مدخول، واستبراء للدين قد بلغ مِنْ نفوسهم غايته، وعزوف عن فتنة الرأي وفتنة التأويل، أدبهم قوله -تعالى-: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣)، وقوله -تعالى-: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩)؛ فكانوا أحْرصَ الناسِ على وفاق، وكانوا كلّما طاف بهم طائف الخلافِ في مسألة دينية بادروه بالردّ إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله؛ فانحسم الداء وانجابت الحيرة.

حين يختلف الناس فإنهم جميعًا عرضةٌ للبغي والظلم؛ فيمكن أن يقعَ صاحبُ الحق في الظلم والبغي، لا من جهة قوله، وإنما منَ جهة إنكاره لما عند مخالفه من الحقّ

التكفيرُ بالضوابط الشرعية

ثالثا: ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ من المعلوم أن الشرع إذا وُجد عند قوم لا يمكن أن ينكروه عند غيرهم؛ ولهذا لما أنكرت اليهود الرجمَ طلب منهمُ القرآن الإتيانَ بالتوراة؛ لأنه فيها وهي شريعتُهم، ومثله حين ينكر متّهمو السلفية على السلفية التكفيرَ بالضوابط الشرعية فإنه يلزمُهم أن يفعلوا ذلك مع أنفسهم خصوصًا؛ إذ وجد عندهم ما هو أشدُّ مما عند السلفية ومخالف للنصوص وإلزام باللازم البعيد، فمن ذلك ما عرف في باب الردّة، فقد نقل شرّاح خليل من المالكية ما يُعرف بمسألة الخطيب، وهي فتوى معروفةٌ عند المالكية أنّ الخطيبَ إذا كان يخطب وأتاه رجل كافرٌ يريد أن يُسلم، فطلب منه الانتظار حتى تنتهيَ الخطبة، فإنّه يكفر؛ لأنه رضي بالكفر زمنًا ما.

التّعصّب داءٌ عامٌّ وليس خاصًّا بالسلفية، بل هو موجودٌ في التوجّهات جميعها؛ فكثيرٌ من المخالفين للسلفيّة من المنتسبين للمذاهب الفقهيّة المرضيّة أكثرُ تعصّبًا وجَورًا

الاستثناء في الإيمان

وبعض أئمّة الأحناف يرون عدَم جواز نكاح من يرى الاستثناءَ في الإيمان فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأنّ هذا كفرٌ عندهم، ولا تسأل عن الحوادثِ المسطّرة بين أهل المذاهب من الاقتتال بينهم وحَجر بعضهم على بعض في الفتيا ومنعه من القضاء، وهذا وقع بين الشوافع والأحناف بكثرة، كما وقع بين الحنابلة وبقيّة المذاهب، فهل يرى خصومُ السلفية هذا التاريخَ سببًا في ترك التمذهُب؟!

وليس الغرضُ من هذا كلّه رميَ حجر في بئر قوم، ولا حتى رفض التمذهُب المنضبط، وإنما الغرضُ تبيين ازدواجيّة المعايير عند بعض خصوم السلفية، وكيف يتناقضون حين ينسبون للسلفية خَصلة هي ظاهرة عند غيرها، وبطريقة أشدّ، بل عند البديل عن السلفية تعدُّ هذه الخصلة سمة بارزة.

بر الأمان

والحقُّ أن السلفية منهجٌ يقود الأمة إلى برّ الأمان، وهي المنهج الذي ارتضاه الله -سبحانه وتعالى- لأهل هذه الملة، وجعله عصمةً من الهلاك؛ لكنّ السلفيين بشر ليسوا ملائكةً ذوي أجنحَة، ولا شياطين ذوي قرون؛ فبعض ما يصدر عنهم هو بمقتضى البشرية؛ ولذلك ينكر عليهم إخوانهم في المنهج، ويتناصحون، ويردُّ بعضهم بعضًا إلى الحق، كما أنّ كلّ منهج فيه أدعياء وأصفياء، وتغليب الأدعياء على الأصفياء يعدُّ خللًا موضوعيًّا، وتعاميًا عن الحقيقةِ، لا يليق بأهل العقول النيرة.

مواقف العلماء في مواجهة التصوف في السودان

بقلم: عبد الحليم أحمد عمر
مدير قناة الاستجابة الفضائية

رسالة الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لواليه على مصر -عمرو بن العاص رضي الله عنه- كانت أول اهتمام مباشر لنشر الإسلام في السودان؛ إذ أمره بتسيير حملة إلى بلاد النوبة، و بالفعل تم تسيير حملة بقيادة عقبة بن نافع، ثم قاد عبد الله بن سعد بن أبي السرح حملة أخرى في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان -رضي الله عنهم أجمعين- سنة ٣١هـ / ٦٥٢م وتوغلت حتى دنقلا وحاصرتها حصارًا شديدًا حتى انتهى الأمر إلى صلح عاهد فيه المسلمون أهل النوبة على الأمان.

كما كان من بنود هذا الصلح أن يدخل المسلمون بلاد النوبة مجتازين غير مقيمين، وعلى النوبة حفظ من نزل بلادهم من المسلمين أو المعاهدين، وعليهم حفظ المسجد وإسراجه وتكرمته وألا يمنعوا عنه مصليا، ويرى بعض المؤرخين أن المسلمين لم يقصدوا فتح بلاد النوبة، بل أرادوا أن يضعوا حدا لهجماتهم، وواضح أن الاتفاقية تمت بموافقة صحابة الرسول ﷺ؛ حيث عُقدت في خلافة عثمان بن عفان، وقد استمرت ستة قرون تنظّم العلاقات بين مصر وبلاد النوبة.

انتشار الإسلام

وواضح أيضا أن الإسلام بدأ في الانتشار بسبب الهجرات العربية وحركة التجارة، ورغم سقوط مملكة النوبة في دنقلا، إلا أن السودان لم يكن في عداد الدول الإسلامية؛ حيث كان تحت حكم ممالك مسيحية لفترات طويلة، وكانت هناك قبائل عربية مسلمة ظلت جزءا من شعب مملكة علوة المسيحية وتدفع الضرائب لدولة علوة، إلى أن تهيأت الفرصة بقيام التحالف بين عبدالله جماع وعمارة بن عدلان الشهير بـ(عمارة دنقس) في بداية القرن السادس عشر، ذلك التحالف الذي كان هدفه إقامة حكم عربي إسلامي، وبقيامه اكتملت عناصر ثلاثة مهمة حسمت قضية تحوّل السودان إلى دولة إسلامية وتمثلت - كما رآها المؤرخون- في الضعف الذي أصاب المسيحية في السودان، ووجود القوة العربية الإسلامية، ثم الإيمان بضرورة التحول للإسلام بوصفه دولة.

الممالك الإسلامية

وكما قال البروفيسور يوسف فضل: «يمكننا أن نعد قيام دولة الفونج وبقية الممالك الإسلامية في السودان الميلاد الحقيقي لغلبة الثقافة العربية والإسلامية في السودان»، وأما ماسبقها من جهود لنشر الإسلام فهو حالة المخاض التي هيأت لهذا الميلاد، ووضعت بذوره وبداياته حتى اكتملت عناصره، وأكد بروفيسور يوسف فضل على أن عملية التحوّل إلى الدين الإسلامي كانت بطيئة جدا، كما أن انتشار الدعوة الإسلامية كان اسميا في كثير من مظاهره، وعد المرحلة الرئيسية لنشر الدعوة الإسلامية والثقافة العربية أسسا ثابتة بدأت بعد سقوط مملكة علوة.

قيام دولة الفونج

إن قيام دولة الفونج يدل على الوعي الذي



نتج عن تعليم ديني رغم وجود حالات من الجهل ببعض أمور الشريعة، وهذا شيء طبيعي نتيجة للعيش في ظل ممالك مسيحية حكمت فترات طويلة، ولا شك أن قيام دولة الفونج الإسلامية ووجود السلطة في يد حكام مسلمين، عامل مهم من عوامل نشاط الدعوة الإسلامية، وقد أحاط ملوك الفونج أنفسهم منذ البداية بالعلماء والفقهاء، وكان عمارة دنقس يستقبلهم بترحاب، كما أن الملوك الذين جاؤوا من بعده كانوا يكرّمون العلماء والمشايخ، ويعملون بتوجيهاتهم، ويقبلون شفاعته، وبالمستوى نفسه كان زعماء العبدلاب يكرّمون العلماء، ويمنحونهم الإقطاعات، ويشوّقونهم إلى الإقامة معهم بمختلف الطرائق لنشر الثقافة الإسلامية.

دخول الإسلام السودان

ماذكرناه سابقا يؤكد على أن دخول الإسلام السودان كان مبكرا على يد الصحابة، واستمر مع الهجرات بأسبابها المختلفة وحركة التجارة، وقد كان سنيا صافيا، ثم كان انتشار التصوّف بعد فترات الحكم المسيحي الذي صادف أميّة وضعفا في العلم متزامنا مع الضعف الذي أصاب المسلمين عامة بعد سقوط دولة الأندلس؛ ولعلّ كتاب الطبقات لـ(ود ضيف الله) قد وثّق لتاريخ تلك الفترة، ورغم أن الكتاب يوحي بهيمنة التصوّف وغلبته وسيطرته على النشاط الديني فيها؛ لأن التصوف كان سريع التقبّل والانتشار بسبب الأمية وقلة العلم، كما ذكرنا سابقا، إلا أن الكتاب نفسه وثّق لما يمكن تسميته الخصومة والصراع بين جماعة (الفقهاء والعلماء) و(المتصوّفة)؛ ولأن سلطة رجال الطرق الصوفية كانت أقوى فقد اتجه بعض الفقهاء إلى الجمع بين العلم والتصوّف وبعضهم كانت لهم مواقف واضحة ضد التصوّف، وهؤلاء وأولئك فيما يبدو كان لهم دور كبير في التخفيف من حدة الهيمنة الصوفية على حياة الناس وربطهم بالكتاب والسنة ومحاربة الشوائب والبدع، ولعله من المناسب أن نورد نماذج

دخول الإسلام السودان كان مبكرا على يد الصحابة، واستمر مع الهجرات بأسبابها المختلفة وحركة التجارة

وقصصا أوردها (ود ضيف الله) صاحب كتاب الطبقات.

الشيخ خوجلي عبدالرحمن

قصة الشيخ خوجلي عبدالرحمن الذي كان يلبس الثياب الفاخرة، ويتبخر بالعود الهندي، ويتعطر بالعطر الحبشي في لحيته وثيابه، ويعيّر على الصوفية الذين يلبسون الجبب والمرقّعات بقوله: «ثيابي تقول للخلق: أنا غُنية عنكم وثيابهم تقول: أنا مفتقرة إليكم»، وهو ممن جمع بين التصوّف والفقه، وحج إلى بيت الله الحرام.

الشيخ عبدالماجد الأغبش

الشيخ عبدالماجد بن حمد الأغبش، وكان ممن جمع بين العلم والعمل واتباع الكتاب والسنة، وكان غيورا على أصحابه ويمنعهم سلوك طريق القوم ويقول لهم أنا طريقتي القرآن.

موقف القاضي دشين

موقف القاضي دشين –قاضي العدالة– من الشيخ محمد الهميم خليفة تاج الدين البهاري في زعامة الطريقة القادرية، فقد زاد الشيخ محمد الهميم في نكاحه من النساء على الحد الشرعي وجمع بين الأختين، فأنكر عليه القاضي دشين ذلك بأنه مخالف للكتاب والسنة وفسخ دشين نكاحه، وتذهب القصة إلى أن الشيخ محمد الهميم دعا عليه بفسخ جلده لكن القاضي

كان انتشار التصوّف بعد فترات الحكم المسيحي الذي صادف أميّة وضعفا في العلم متزامنا مع الضعف الذي أصاب المسلمين عامة بعد سقوط دولة الأندلس

دشين كان صاحب موقف شجاع وما رجع عن أمره ومازاده ذلك إلا يقينا.

الشيخ الأعسر بن حمدتو

الشيخ الأعسر بن عبدالرحمن بن حمدتو، كان ممن رفض الانخراط في سلك الطرق الصوفية، قال ود ضيف الله: «طلب منه الشيخ عبدالقادر سلوك الطريق؛ فقال له: أنا غير هذا الكتاب (يعني مختصر خليل) ما عندي شيء، الواجب والمندوب والمباح فيه أفعله، والحرام والمكروه أجتنبه»، ومن ذلك ما رواه ود ضيف الله أيضا أن الشيخ عويضة أرسل لشيخ الأعسر وقال له: أعطني فرسك الفلانية أعطك ولدا يمسك عقابك؛ فامتنع، وقال: ولدا الله ما خصاني به ما بدوره بالوسايط (أي ولدا لم يخصّني الله به لا أريده بالوسطاء).

تحول مشايخ الصوفية

من الصوفية من تحوّل لدراسة العلم والفقه مثل الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ صالح بان النقا، وقد كان أول أمره أن اتخذ مذهب التصوّف وسلك طريق القوم؛ فلما انتهى في السلوك، اشتغل بقراءة العلوم الظاهرة وتحصيل كتبها وبذل المال على المعلمين، وفسّر هذا الاتجاه بأنه بسبب رؤيا منامية ولم يذكر تفسيرا آخر لهذا التحوّل.

معارضة التصوف

هذه النماذج تؤكد لنا أن التصوّف وجد معارضة من علماء وقضاة رفضوا سلوك طريق القوم، وانتقدوا معتقداتهم، وممارساتهم المخالفة للكتاب والسنة، وكان لهم دور كبير في التخفيف من حدة التصوف وهيمنته على حياة الناس، بل وفرضوا واقعا جديدا خلافا لما رسّخه المتصوفة؛ فقد كان لهؤلاء العلماء تلاميذ وأتباع حتى تُوّج ذلك بظهور جماعة أنصار السنة المحمدية ودورها العلمي والعملي الكبير منذ أكثر من قرن من الزمان، ولعلّ هذا من حفظ الله لهذا الدين؛ حيث ينتخب له من الناس من يحافظ عليه ويحّيي ما اندرس منه على مدى الأزمان.

حرمة الدماء بين السلف والخوارج

د. خالد آل رحيم

توعد الله -تعالى- الجاني على النفس البريئة بعقوبات شديدة ومتعددة، كل واحدة أشد من غيرها وعيدًا ترتعد منه النفوس، وترتجف من هوله القلوب، قال -تعالى-: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (النساء:٩٣).

وظهر هذا جليًا في الفارق بين الصحابة والسلف والخوارج في احترام الدماء والخوف من الخوض فيها بغير حقها، فعن ابن عمر أنه: «أَتَاهُ رَجُلاَنِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالاَ: إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا مَا تَرَى وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ -ﷺ-، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي. فَقَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} (البقرة:١٩٣). فَقَالَ: قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ» (رواه البخاري).

ما حملك على هذا؟

وفي رواية عن نافع: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَحُجَّ عَامًا، وَتَعْتَمِرَ عَامًا وَتَتْرُكَ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رَغَّبَ اللَّهُ فِيهِ؟! قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: إِيمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالصَّلاَةِ الخَمْسِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ. قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَلاَ تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} (الحجرات:٩)، {قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ} (الأنفال:٣٩)، قَالَ: «فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَكَانَ الإِسْلاَمُ قَلِيلًا، فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ: إِمَّا قَتَلُوهُ، وَإِمَّا يُعَذِّبُونَهُ، حَتَّى كَثُرَ الإِسْلاَمُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ» (رواه البخاري).

مَا يَمْنَعُكَ أَنْ لاَ تُقَاتِلَ؟

وفي رواية: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَلاَ تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ...} (الحجرات:٩)، فَمَا يَمْنَعُكَ أَلاَ تُقَاتِلَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَغْتَرُّ بِهَذِهِ الآيَةِ وَلاَ أُقَاتِلُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْتَرَّ بِهَذِهِ الآيَةِ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ -تَعَالَى-: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (النساء:٩٣)» (رواه البخاري).

قِتَالِ الفِتْنَةِ

وعن سعيد بن جبير قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا -أَوْ إِلَيْنَا- ابْنُ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الفِتْنَةِ؟ فَقَالَ: وَهَلْ



توعد الله -تعالى- الجاني على النفس البريئة بعقوبات شديدة ومتعددة، كل واحدة أشد من غيرها وعيدًا ترتعد منه النفوس، وترتجف من هوله القلوب

تَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ كَانَ مُحَمَّدٌ -ﷺ- يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ، وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى المُلْكِ» (رواه البخاري). وكان يقول: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ» (رواه البخاري).

وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ

وعن ابن عباس قال: «قُتِلَ قَتِيلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله -ﷺ- لَا يُعْلَمُ قَاتِلُهُ، فَصَعِدَ مِنْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُقْتَلُ قَتِيلٌ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لَا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ، لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَعَذَّبَهُمُ اللهُ بِلَا عَدَدٍ، وَلَا حِسَابٍ» (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير).

أَلَا تُقَاتِلُ؟

وعن ابن سيرين قال: «قِيلَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: أَلَا تُقَاتِلُ؟، فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الشُّورَى، وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَقَالَ: لَا أُقَاتِلُ حَتَّى تَأْتُونِي بِسَيْفٍ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ وَشَفَتَانِ يَعْرِفُ المُؤْمِنَ مِنَ الكَافِرِ! فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَنَا أَعْرِفُ الجِهَادَ» (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير).

أَلَا تَخْرُجُ فَتُقَاتِلَ مَعَنَا؟

وعند الحاكم بسند صحيح عن عامر الشعبي قال: قَالَ مَرْوَانُ بْنُ الحَكَمِ لِأَيْمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ: أَلَا تَخْرُجُ فَتُقَاتِلَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي وَعَمِّي شَهِدَا بَدْرًا، وَإِنَّهُمَا عَهِدَا إِلَيَّ أَنْ لَا أُقَاتِلَ أَحَدًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ جِئْتَنِي بِبَرَاءَةٍ مِنَ النَّارِ، قَاتَلْتُ مَعَكَ، قَالَ: فَاخْرُجْ عَنَّا، قَالَ: فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

وَلَسْتُ بِقَاتِلٍ رَجُلًا يُصَلِّي
عَلَى سُلْطَانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ
لَهُ سُلْطَانُهُ وَعَلَيَّ إِثْمِي
مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ جَهْلٍ وَطَيْشِ

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا» (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

هذا هو الفارق

وهذا هو الفارق بين سلف الأمة المبارك وبين الخوارج في التعامل مع الدماء، فالسلف كانوا يخشون سفكها بغير حق؛ فمنهم مَن يطلب سيفًا له عينان ولسان يعرف المؤمن من الكافر، ومنهم مَن يطلب براءة من النار ليقاتل! والأدلة كثيرة، ونحن نرى الآن الخوارج يَقتلون على الهوية دون نظر لدليل أو حجة يحاجون بها مَن يقتلونهم يوم لقاء المولى -تعالى-!

طاعة الله ورسوله سبب السعادة عاجلا وآجلا

أحمد السيد الحمدون

قال ابن القيم -رحمه الله-: «طاعة الله ورسوله، وتحكيم الله ورسوله هو سبب السعادة عاجلا وآجلًا، ومَن تدبر العالم والشرور الواقعة فيه؛ علم أن كل شر في العالم سببه مخالفة الرسول والخروج عن طاعته، وكل خير في العالم؛ فإنه بسبب طاعة الرسول.

وكذلك شرور الآخرة وآلامها وعذابها، إنما هو من موجبات مخالفة الرسول ومقتضياتها، فعاد شر الدنيا والآخرة إلى مخالفة الرسول وما يترتب عليه، فلو أن الناس أطاعوا الرسول حق طاعته لم يكن في الأرض شر قط، وهذا كما أنه معلوم في الشرور العامة والمصائب الواقعة في الأرض، فكذلك هو في الشر والألم والغم الذي يصيب العبد في نفسه فإنما هو بسبب مخالفة الرسول؛ ولأن طاعته هي الحصن الذي مَن دخله كان من الآمنين، والكهف الذي مَن لجأ إليه كان من الناجين.

فعلم أن شرور الدنيا والآخرة إنما هو الجهل بما جاء به الرسول -ﷺ-، والخروج عنه، وهذا برهان قاطع على أنه لا نجاة للعبد ولا سعادة إلا بالاجتهاد في معرفة ما جاء به الرسول -ﷺ- علمًا، والقيام به عملًا.

وكمال هذه السعادة بأمرين آخرين: أحدهما: دعوة الخلق إليه، والثاني: صبره واجتهاده على تلك الدعوة.

الكمال الإنساني: فانحصر الكمال الإنساني على هذه المراتب الأربعة:

- أحدهما: العلم بما جاء به الرسول -ﷺ-.
- والثانية: العمل به.
- والثالثة: نشره في الناس ودعوتهم إليه.
- والرابعة: صبره وجهاده في أدائه وتنفيذه.

ومَن تطلعت همته إلى معرفة ما كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم- وأراد اتباعهم؛ فهذه طريقهم حقًّا:

فإن شئت وصل القوم فاسلك سبيلهم فقد وضحت للسالكين عيانًا»

مقاصد المكلفين (١)

د. زين العابدين كامل

لا شك أن أمر النية من أهم الأمور والمسائل التي يجب على كل مسلم أن يهتم بها؛ فهي أصل العمل وروحه، لذا اهتم العلماء قديماً وحديثاً بموضوع النية، وأفردوا لها بعض المصنفات، ومن المصنفات المعاصرة التي اهتمت بدراسة أمر النية كتاب: (مَقَاصِدُ المُكَلفِينَ فيمَا يُتَعَبَّدُ به لِرَبِّ العَالَمين) للدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر، والكتاب في أصله عبارة عن رسالة دكتوراه، جمع فيها مؤلفها المسائل والأحكام التي تخص أمر النية، ونظراً لأهمية هذا الموضوع، فقد عزمت على أن نتناول موضوع الكتاب في مقالات عدة -بمشيئة الله تعالى-، وأود أن أشير إلى أننا لن نطوف كثيراً حول التعريف ببعض المصطلحات الخاصة بكلمة النية ومعناها ومدلولاتها من الناحية النظرية، كالحديث عن الفرق بين العزم والإرادة والقصد ونحو ذلك، ولكننا نريد أن نسلط الضوء ونطيل النفس حول الجانب التربوي والتعبدي، وذلك بذكرنا لبعض أقوال العلماء والصالحين في هذه المسألة، وكذا نذكر شيئاً من قصصهم وأحوالهم في عبادتهم.

ونؤكد أولاً على خطورة أمر النية في الأعمال فإنّ مقاصد العباد ونياتهم محلُّ نظر الباري -جلّ وعلا-، وأمر النيات يحتاج دائما إلى تقويم وتهذيب ورعاية؛ وذلك لأن النيات تقع موقع الأرواح من الأعمال، وتقوم مقام الجذور والأصول بالنسبة للأشجار؛ لأن النيّة هي القصد إلى الشيء، والعزيمة على فعله، فهى عمل قلبي، ومما يدل على خطورة أمر النية ما جاء عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» (متفق عليه)، وبهذا الحديث صدر البخاري كتابه الصحيح؛ لأنه أصل عظيم في الدين.

لذا قال الشافعي -رحمه الله- في هذا الحديث: هو ثلث العلم ويدخل في سبعين بابا من الفقه، وقال أحمد -رحمه الله-: أصل الإسلام على ثلاثة أحاديث، حديث عمر، الأعمال بالنيات، وحديث عائشة من أحدث في أمرنا هذا، وحديث النعمان بن بشير الحلال بين والحرام بين، وإذا تدبرنا آيات الكتاب المبين، نجد أن الآيات التي تتحدث عن القصد والنية هي الآيات التي تتحدث عن الإرادة والإخلاص، كقوله -تعالى-: ﴿فَاعْبُدِ الله مخلصًا لَّهُ الدِّينَ﴾، وقوله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِين لَهُ الدِّينَ﴾ وقوله -تعالى-: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجو لِقَاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَملاً صالحًا، وَلاَ يشْرِكْ بعِبادَة رَبِّه أَحَدًا﴾ وفي الحديث الذي ذكرناه آنفا، «إنما الأعمال بالنيات» دليل على أن الأعمال لا تصح ولا تعتبر ولا تقبل إلا بالنية، وأن النية هي الفاصلة بين ما يصح وما لا يصح، وبين ما يقبل وما يُرد، ومن ثم لم يعتد الشرع أو يعتبر الأفعال التي وقعت دون قصد وإرادة، كالأعمال الصادرة من المجنون والمخطىء والساهي والغافل والنائم ونحو ذلك، فلا يُعتدُّ بها إن كانت طاعات، ولا يعاقب عليها إن كانت معصية.

فالذي يستمع القرآن بغير قصد الاستماع والتعبد لا يثاب على استماعه، ومن جامع امرأة يظنها زوجته ثم تبين أنها ليست هي فلا عقوبة عليه، ومن أكل أو شرب ناسيا وهو صائم فصومه صحيح، وهكذا، والأدلة على ما ذكرنا من الكتاب والسنة متضافرة، قال -تعالى-: ﴿لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إلاّ وُسعَهَا، لَهَا مَا كَسَبَتْ، وَعَلَيْهَا مَا اكتَسَبَت، رَبَّنَا لَا تُؤَاخذنَا إن نَسِينَا أوْ أَخْطَأْنَا﴾، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه» (حديث حسن، أخرجه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه) وكذا كان الحكم برفع القلم عن ثلاثة: «عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر» كما ثبت في الحديث الصحيح، وكذا الناطق بكلمة الكفر مُكرها، وقلبه مطمئن بالإيمان،

التبصُّر بلغة العرب من ضرورات الفقيه

كتب: مشاري الشثري

التبصُّر بلغة العرب والخبرة بأساليبهم في البيان من ضرورات الفقيه إذا ما أراد أن يكون لفقهه تحريرٌ وتحقيق، سواء في بنائه أم نقده، وفيما يلي مثالٌ يبين لك كيف يستثمر الفقيه عدته اللغوية في تحرير استدلالاته، وتمحيص بناءاته، وذلك أن بعض الفقهاء استدل على أن المراد بالقروء في قول الله -تعالى-: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ الأطهار بدخول تاء التأنيث على العدد؛ حيث إن العرب تدحل التاء في عدد المذكر من الثلاثة إلى العشرة وتحذفها من المؤنث.

ومع قول المازري بأن المراد بالقروء في الآية الأطهار، إلا أنه انتقد هذا التعليل بقوله: «وهذا غلط؛ لأن العرب قد تراعي في التذكير والتأنيث اللفظَ المقرونَ به العدد فتقول: ثلاثة منازل، وهي تريد ثلاث ديار، وإن كانت الدار مؤنثة؛ لأن لفظ المنزل مذكر، وقد تعد المعنى أحيانًا، قال ابن أبي ربيعة:

فَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَا كُنْتُ أَتَّقِي
ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

فأنث على معنى الشخوص لا على اللفظ.

وحكى أبو عمرو بن العلاء أنه سمع أعرابيا يقول: فلان جاءته كِتَابي فاحتقرها، قال: فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ فقال: نعم أليس بصحيفة؟ فأخبر أنه أنّث مراعاة للفظ صحيفة الذي لم يذكره لما كانت في المعنى هي الكتاب المذكور، ونحو من هذا قول الشاعر:

أَتَهْجُرُ بَيْتًا بِالحِجَازِ تَلَفَّعَتْ
بِهِ الخَوْفُ وَالأَعْدَاءُ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهْ؟

أراد المخافة، فأنّث لذلك.

وقال آخر:

غَفَرْنا وَكَانَتْ مِنْ سَجِيَّتِنَا الغُفْرُ

أنّث الغفر لأنه أراد المغفرة

والأمثلة في هذا الباب كثيرة، ومن عجب أن ترى من المتفقهة من لا يحفل بكتبِ اللغة، ولا يعاني قراءتَها ودراستَها، بل ربما جرّهُ جهلُه إلى انتقادِ المشتغلِ بها المستكثرِ منها!

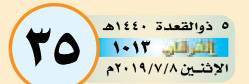
قال الإمام الشافعي في (الرسالة): على كلِّ مسلم أن يتعلمَ من لسان العرب ما بلغه جهدُه، حتى يشهد به ألا إله إلا الله، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، ويتلو به كتابَ الله، ويَنطِقَ بالذِّكر فيما افتُرِضَ عليه من التكبير، وأُمِرَ به من التسبيح والتشهد وغير ذلك.

وما ازداد من العلم باللّسان الذي جعله الله لسانَ مَن خَتَمَ به نبوتَه وأَنزَلَ به آخرَ كتبه، كان خيرًا له، كما عليه يتعلّمُ الصلاةَ والذِّكرَ فيها، ويأتي البيتَ وما أُمِرَ بإتيانه، ويتوجّهُ لِمَا وُجِّهَ له، ويكونُ تبعًا فيما افتُرِضَ عليه ونُدِبَ إليه لا متبوعًا.

وإنما بدأتُ بما وصفتُ من أن القُرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يَعلَمُ من إيضاح جُمَلِ علم الكتاب أحدٌ جَهِلَ سعةَ لسان العرب، وكثرةَ وجوهه، وجِمَاعَ معانيه، وتَفَرُّقَها، ومَن عَلِمَه انتفتْ عنه الشُّبَهُ التي دخلتْ على مَن جَهِلَ لسانَها.

فكان تنبيهُ العامّة على أنّ القُرآن نزل بلسان العرب خاصّة نصيحةً للمسلمين، والنصيحةُ لهم فرضٌ لا ينبغي تَرْكُه، وإدراكُ نافلة خير لا يدعُها إلّا مَن سَفِهَ نفسَه، وتَرَكَ موضعَ حظّه، وكان يجمعُ مع النصيحة لهم قيامًا بإيضاحِ حَقّ، وكان القيامُ بالحق ونصيحةُ المسلمينَ من طاعة الله، وطاعةُ الله جامعةٌ للخير.

وقال الجاحظ: «للعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنيةٌ، وموضعُ كلام يدلُّ عندهم على معانيهم وإراداتهم، ولتلك الألفاظ مواضعُ أُخَرُ، ولها حينئذ دلالاتٌ أُخَرُ، فمن لم يعرفها جَهِلَ تأويلَ الكتاب والسنّة، والشاهدِ والمثلِ؛ فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا الشأن هَلَكَ وأهلَكَ» الحيوان (١: ١٥٤).



هدي الإسلام في نقد الأخطاء وتصحيحها

وحدة البحث العلمي بالفرقان (٣)

استكمالا لما بدأنا الحديث عنه في أساليب النقد وتصحيح الأخطاء؛ حيث ذكرنا أن الخطأ سلوك بشري يقع فيه الجميع، كبارًا أو صغارًا، وذكرنا أننا لا يمكن أن نترك الأخطاء كما هي، ولا نبحث لها حلولاً يناسبها ويصححها، ولكن كيف نصحح أخطاء الآخرين؟ وهل هناك أساليب ينبغي أن نستعمل في نقدنا للآخرين؟ هل نجد في السنة النبوية ما يرشدنا إلى أحسن الأساليب؟ هذا ما نتناوله في هذه السلسلة.

الثاني عشر: النقد بالإنكار الشديد

كما أشرنا سابقاً، لا يمكن أن يستعمل الناقد أسلوباً واحداً في الحالات كلها، ومن هنا يأتي هذا الأسلوب في حينه ليؤدي دوره ويستثمر فوائده، ولكن لابد أن يصاحب هذا الأسلوب بعض الأساليب التي ذكرنا مثل: مراعاة حدود النقد وعدم التجاوز، واستهداف نقطة الخطأ وغيرهما. وهذا طرف من الأحاديث الكثيرة التي ترشدنا إلى هذا الأسلوب: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَدَعَوْتُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ هَذَا؟» قُلْتُ: أَنَا، قَالَ: فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: «أَنَا، أَنَا». صحيح مسلم: كتاب الآداب ٣/١٦٧٣.

ألا تصلون؟

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ؛ فَقَالَ: «أَلَا تُصَلُّونَ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ الله؛ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا؛ فَانْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ، يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَيَقُولُ ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤). صحيح مسلم: صلاة المسافرين.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ، - قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً؛ فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ؛ فَقَالَتْ: أَرْضَعْتُكُمَا؛ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ فُلاَنَةَ بِنْتَ فُلاَنٍ؛ فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ؛ فَقَالَتْ لِي: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا، وَهِيَ كَاذِبَةٌ، فَأَعْرَضَ عَنِّي؛ فَأَتَيْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، قُلْتُ: إِنَّهَا كَاذِبَةٌ، قَالَ: «كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا، دَعْهَا عَنْكَ». صحيح البخاري: كتاب الشهادات.

بهذا أمرتم؟

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون في القدر؛ فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب؛ فقال: «بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم، تضربون القرآن بعضه ببعض؟ بهذا هلكت الأمم قبلكم» قال: فقال: عبد الله بن عمرو، ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ، ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه. صحيح: سنن ابن ماجه، كتاب القدر ١/٣٣.

أفتان أنت؟

عن جابر قال: كان معاذ يصلي مع رسول الله ﷺ، ثم يرجع فيؤمنا - وقال مرة: ثم يرجع فيصلي بقومه -؛ فأخر النبي ﷺ ليلة - وقال مرة: الصلاة - وقال مرة: العشاء - فصلى معاذ مع النبي ﷺ، ثم جاء يؤم قومه، فقرأ البقرة؛ فاعتزل رجل من القوم فصلى؛ فقيل: نافقت يا فلان، قال: ما نافقت، فأتى النبي ﷺ؛ فقال: إن معاذا يصلي معك، ثم يرجع فيؤمنا يا رسول الله، إنما نحن أصحاب نواضح، ونعمل بأيدينا، وإنه جاء يؤمنا فقرأ سورة البقرة، فقال: « يا معاذ، أفتان أنت؟ أفتان أنت؟ اقرأ بكذا وكذا». مسند الإمام أحمد: مسند جابر رقم ١٤٣٠٧.

أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ؟

عن النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ، سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ مِنْ مَالِهِ لابْنِهَا؛ فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَا لَهُ؛ فَقَالَتْ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى مَا وَهَبْتَ لابْنِي؛ فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلاَمٌ؛ فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لابْنِهَا؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَلاَ تُشْهِدْنِي إِذًا؛ فَإِنِّي لاَ أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ». صحيح مسلم: كتاب الهبات.

أسلوب الإعراض والهجران

لا شك أن هذا الأسلوب تنكيل للمخطئ والعاصي، وكما يتضح لنا من الأمثلة الآتية، يستعمل الناقد هذا النوع لمن يرجى رجوعه عن الخطأ -إن شاء الله تعالى- ومن الأمثلة: عن أبي سعيد الخدري قال: إن رجلا قدم من نجران إلى رسول الله ﷺ، وعليه خاتم من ذهب؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: «إنك



جئتني وفي يدك جمرة من نار». سنن النسائي: كتاب الزينة ٨/١٧٠.

حديث الثلاثة

وعن كعب ابن مالك في حديثه الطويل قَالَ: وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلامِنَا، أَيُّهَا الثَّلاثَةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِيَ الْأَرْضُ؛ فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ؛ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً؛ فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ؛ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ، أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ؛ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ؛ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ؛ فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ؛ فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ.. إلى آخر الحديث. صحيح مسلم: كتاب التوبة ٤/٢١٢٠.

المناقشة والحوار والإقناع

وهذا أسلوب آخر من أساليب النقد التي نستفيد من السنة النبوية المطهرة، وهو أسلوب يؤدي دوراً كبير في تحقيق أهداف النقد وتصحيح الأخطاء، ومن مميزات هذا النوع أن المخطئ يعترف بخطئه، ويرجى أن يستسلم للصواب -إن شاء الله- وهذه بعض الأمثلة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: «فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟» قَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ» وفي رواية: وَهُوَ حِينَئِذٍ يُعَرِّضُ بِأَنْ يَنْفِيَهُ، وَزَادَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الِانْتِفَاءِ مِنْهُ. صحيح مسلم: كتاب الطلاق ٢/١١٣٧.

المناقشة والحوار والإقناع أسلوب يؤدي دوراً كبير في تحقيق أهداف النقد وتصحيح الأخطاء

رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ؛ فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا؛ فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ؛ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ» ، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةً، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ» ، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً»؛ فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ. صحيح البخاري: كتاب الفضائل ٦/١٩٦.

ائذن لي بالزنا

عن أبي أمامة قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا؛ فأقبل القوم عليه؛ فزجروه وقالوا: مه، مه؛ فقال: «ادنه، فدنا منه قريبا»، قال: فجلس قال: «أتحبه لأمك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟»، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»؛ قال: «أفتحبه لأختك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. مسند الإمام أحمد: مسند أبي أمامة ٣٦/٥٤٥.

رغم أن المصارحة مرفوضة وغير مرضية من جانب المخطئ، إلا أنها تناسب أن تستعمل بوصفها أسلوب من أساليب النقد

المصارحة في النقد

رغم أن المصارحة مرفوضة وغير مرضية من جانب المخطئ، إلّا أنها تناسب أن تستعمل كأسلوب من أساليب النقد، ولاسيما إذا كانت المصلحة المنشودة من النقد تتحقق فيها، ولكن إذا كانت هناك مفسة أكبر، يجب أن نبتعد المصارحة ونعدل إلى أسلوب آخر، ومن الأحاديث: عَنِ الْمَعْرُورِ هُوَ ابْنُ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدًا، فَقُلْتُ: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً، وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ، فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ لِي: «أَسَابَبْتَ فُلَانًا» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» قُلْتُ عَلَى حِينِ سَاعَتِي: هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ؛ فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ». صحيح البخاري: كتاب الأدب ٨/١٦، وفي رواية مسلم قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ». صحيح مسلم: كتاب الإيمان ٣/١٢٨٢.

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ؛ فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» ثُمَّ خَطَبَنَا؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ؛ فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ..» إلى آخر القصة. صحيح البخاري: كتاب الحيل ٩/٢٨.

قراءة شرعية في رواية (قواعد العشق الأربعون)

د. أبو بكر القاضي
كاتب وباحث مصري

كان الأدب -وما زال- سلاحًا بتّارًا في معركة الوعي بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل في ساحة المعركة، والكلمة والقلم أدوات هذه الرؤى، والعقائد والأيدلوجيات قربت أو بعدت عن الحق المطلق من الوحيين الكتاب والسنة، ونحن لا نهيب الناس بالتقوقع والتحوصل دون القراءة والاطلاع والبحث حتى نحميهم من الكم الهائل من الشبهات والشهوات والفتن التي تتسرب إليهم باسم الفن والأدب والثقافة، ولكن نهيبهم بالتحصن أولًا ثم الانفتاح والاطلاع وتوسيع الآفاق والمدارك.

والتحصن يكون من خلال طلب العلم النافع من الكتاب والسنة مما يلزمه فهمه من مراتب الدين الإسلامي بأركانه الخمسة، والإيمان بأركانه الستة، والإحسان بركنيه، أن نصنع شخصية إسلامية مثقفة غير مشوهة ولا مخوخة ولا معوجة، تستقيم لها التصورات والرؤى والمفاهيم، ومِن ثَمَّ الأخلاق والسلوك والممارسات في شتى المجالات.

الرواية في سوق الأدب

وفي هذا العصر تحتل الرواية في سوق الأدب والثقافة مكانة الذروة، وترتفع فوق الصحافة والقراءة العلمية والفكرية، حتى الدراسة والتحقيق، بعض الروايات تكون صادقة حية حارة بمعانيها وبأنفاس الكاتب، ولغته الرشيقة، ترسخ ما في نفسه في نفس القارئ من حق وباطل، وبعضها تافه سفيه مبتذل لا قيمة له إلا ترسيخ مبدأ السبهللة والفراغ الذهني والفكري والإيماني والوجداني، والحالة العدمية التي يحياها مجتمعنا؛ مستهدفًا الشهرة والربح والانتشار فقط على سبيل المعنى والمضمون.

هل الروايات خطوة في الثقافة؟

يتضح من خلال هذه السطور إجابة هذا السؤال الذي يطل برأسه في ساحتنا الثقافية اليوم وهو: هل الروايات خطوة في الثقافة؟ مع هذا الكم الهائل الذي يغرق الأسواق من الروايات باللغات المختلفة والمترجمة التي تصل إلى حد الماركة المسجلة والأعلى مبيعًا وتداولًا حتى غابت -أو كادت- القراءة المنهجية العلمية والفكرية والإيمانية، فضلًا عن مفهوم الثقافة الإسلامية، فضلًا عن مفهوم الثقافة أصلًا الذي هو من الثقف الوجد والإدراك، وهو يتنوع ويتفاوت ويكتسب أهميته من المثقوف والمُدرك والمعلوم وفي هذا التحدي ينبغي أن تتضح الإجابة.

شروط الرواية

إن الرواية إذا توفرت فيها شروط الذوق اللغوي الرفيع والنحوي والمُحتوى الهادف الذي يرسخ قيم الحق والخير والجمال والمنظور الحق للموت والحياة بآلامها وآمالها وخيرها وشرها، فهي خطوة جادة للتعوُّد على القراءة وصناعة الوعي والخيال الخصب، ولا يُكتفى بها، بل هي خطوة على الطريق لتحبيب القراءة للنفوس، وهي شرعًا لا حرج فيها من باب



تحتل الرواية في سوق الأدب والثقافة مكانة الذروة، وترتفع فوق الصحافة والقراءة العلمية والفكرية

تتمحور الرواية حول إظهار الفكر الصوفي الفلسفي، وأن فيه حقيقة التدين والأخلاق والسعادة والسلام العالمي

ضرب الأمثال؛ فإذا غابت اللغة وأصبحت لغة مبتذلة وعامية، والفحوى ما بين العدمية وما بين الانحلال والانحراف والشبهات والشهوات، فلا شك أنها ليست خطوة على مضمار الثقافة، بل تصبح أداة للتسفيه والتجهيل والتغييب عن قضايا الأمة ونصرة الحق والإغراقات في حالة عدمية وفراغ ثقافي وإيماني وغفلة عن مخططات الأعداء الداخلية والخارجية في شكل كتاب وورق فاخر وأغلفة جذابة.

من أكثر الروايات مبيعًا

بين أيدينا في هذه السطور رواية، وجدت رواجًا وتداولًا حتى أصبحت من أكثر الروايات مبيعًا، وهي رواية: (قواعد العشق الأربعون) لإليف شفاق -كاتبة روائية صوفية-، وتعتقد في كلام ابن عربي الأندلسي وجلال الدين الرومي أن الله يحل في الإنسان ويقبع داخله.

حبكة درامية

تضمنت الرواية حبكة درامية وشخوصًا وأحداثًا في خطين من الزمن: متقدم ومتأخر متوازيين متبادلين، وهي رواية فكرية فلسفية وجودية من الطراز الأول، وخطرها في تمرير عقائد وأفكار منحرفة من خلال لغة الحب والعشق الخلابة التي تستلب الأسماع والأبصار، وتأسر المشاعر، وتستولي على مجامع النفوس كالسم الزعاف في العسل اللذيذ.

نظرة كلية لأحداث الرواية

رواية تتضمن خطين زمنيين أحدهما في القرن الواحد والعشرين، والآخر في القرن الثالث عشر، ومحورها الأصلي حياة شمس التبريزي- صاحب مدونة (قواعد العشق الإلهي الأربعون)، وهو رجل من الصوفية المتفلسفة الإباحية التي تدين بعقائد الحلول والاتحاد، ورفع التكاليف الشرعية عن الأولياء، واستباحة الحرمات بالوصول إلى حقيقة الحب الإلهي والفناء، واستواء الأديان والشرائع إذا تحقق جوهر الدين من المحبة والعشق، وهذا يتطلب تفسيرًا باطنيًا للقرآن، فضلًا عن إهمال السنة، وتقليل شأن النبوة والاحتياج إليها في تفسير الشريعة؛ لأنه -في زعمهم- يغني عنها الحقيقة التي يجدها الولي في قلبه من تحديث الله (حدثني قلبي عن ربي)، وحقيقة الفناء والاتحاد الذي تحدث بين الرب والعبد؛ فيصير الرب عبدًا والعبد ربًا حتى ينقل ويستدل بكلام البسطامي: (الله في عباءتي)!

شمس التبريزي

شمس التبريزي حياته في الرواية تظهر من خلال رواية تقرؤها بطلة الرواية (إيلا) في العصر الحديث، وهذه الرواية بعنوان: (الكفر الحلو) تجد فيها (إيلا) ملجأ لها في هذا الفكر الصوفي الروحاني من مادية حياتها وروتينها، وأنواع التدني الخلقي، والمفارقات، والاختلافات، وعتمة الروح من الفواحش والمعاصي؛ فتجد في (شمس) نموذجًا للشخص المتدين الذي يفهم الدين على الحقيقة وقد وُلد قبل زمانه، فهو أنضج من عصره؛ فيستشعر بالغربة الشديدة والاستيحاش بين أهل الدين الظاهر، والالتزام بالشريعة الحشوية، الذين يظهرون في الرواية أنهم أصحاب بطون جائعة، وشهوات مشتعلة، وقلوب قاسية، وخدم للسلطان والسياسة، وعُبَّاد المناصب والرياسات، وغافلون تمامًا عن دعوة الخلق وخدمتهم ومشاركتهم آلامهم وحاجتهم النفسية والروحانية والمادية.

البطل المغوار

و(شمس) يظهر في صورة البطل المغوار الدرويش الذي يتحقق بمذاقات الدين، وأشواق الروح، والعارف الفاهم لمقاصد الشرع الذي تجري على لسانه الحكمة، ويبدأ في رحلته البحث عن رفيق في رحلته الروحانية، مستمدًا من قصة موسى -عليه السلام- والخضر القدوة والأسوة؛ فيطرق مسامعه ذكر جلال الدين الرومي -أحد فقهاء الأحناف وعالم بالشريعة الظاهرة، خطيب مؤثر يزلزل القلوب والمنابر بخطبه الرنانة-؛ فيرحل إليه ليكون رفيق دربه في رحلته الروحانية في سبيل العشق الإلهي، وفعلًا في طريقه يلتقي ببغي وسكير ممن تصورهم الرواية أنهم يعبدون الله في أعماقهم، ولكن قد دُفن النور داخلهم بدخن الشهوات، ويحتاجون لاستنقاذ ورحمة، وأن أهل الدين الظاهر ظلمة جفاة جهلة، يقسون عليهم قسوة عارمة، ولا يمدن لهم يد العون إلا (شمس).

بين الشريعة والحقيقة

ينطلق شمس إلى مجلس الرومي ويلتقيه ويبغته بسؤال: هل النبي أفضل أم أبو اليزيد البسطامي؟ في مواجهة واضحة صريحة بين الشريعة والحقيقة، وأن الأولياء يسبقون الأنبياء بدلالة قصة موسى والخضر ومفهوم الصوفية المنحرفة لهذه القصة .

ثم يتكلف الرومي الجواب المتنطع غير المنطقي، ثم يفهم الرسالة، ويتواصل مع (شمس) في خلوات روحانية بعيدًا عن الناس، يصبح فيها شمس معلمه وشيخه وملهمه الأوحد، يتحول فيها الرومي من عالم بالشريعة إلى عارف بالحقيقة، يرمي كل كتبه في الماء، ويعتزل الناس حتى زوجه وأولاده؛ مما يثير الأحقاد والشكوك، وتبدأ حملات شرسة من الهجوم والنقد لشمس والرومي، وإشاعات الرذيلة والزندقة والكفر.

ويختلط شمس بعائلة الرومي كيرا زوجته، وسلطان ولد وعلاء الدين وكيميا اليتيمة التي يرعاها، ومنهم من يعاديه، ومنهم من يُعجب به، ويتبين في سياق الرواية أن (شمس) مظلوم وقد أساؤوا به الظن، وهو لا يريد إلا الخير لجلال الدين. وتُظهر الرواية أن شمس وجلال اتحدا روحيًا حتى أصبحا واحدًا من خلال طريق العشق، وأنه إذا تدمر أحدهما تدمر

الثاني، وهذا نص كلام شمس لعلاء الدين ابن جلال وهو معارض ومعادٍ له.

نبذ الأحكامً الظاهرة

يتماهي جلال الدين تمامًا مع شمس في نبذ الأحكام الظاهرة والغرق فيما يزعم أنه حقائق الدين من التماهي مع العصاة لرحمتهم والقرب منهم والرقص والموسيقى (تتبلور فكرة رقصة سما المولوية) يتحد فيها الراقص بذرات الكون، يرفع يدًا ويخفض أخرى ليأخذ الحب من السماء وينشره في الأرض، وهنا تحتد المواجهة الصريحة بين الشريعة والحقيقة التي يزعمون؛ فالصوفية افتعلوا صراعًا، ونصروا حظوظهم وأذواقهم الشاذة وأهواءهم في هذه المعركة في الحقيقة!

التفسير الباطني للقرآن

تنتقل الرواية في البلورة الفكرية لفكر (شمس) في التفسير الباطني للقرآن الذي يظهر في حواره مع كيميا في آيات من سورة النساء، ومساواة الأديان، وأنها أصابع ليد واحدة في حواره مع كيرا التي كانت نصرانية وأسلمت وتزوجت من جلال الدين، وأنها تستطيع أن تحتفظ بعبادتها لمريم -عليها السلام- (وهذا شرك) مع الإسلام، ونبذه للتعبد لله خوفًا ورجاءً وإنكاره؛ لذلك حتى قال: «وددت أني أحرقت الجنة وأطفأت النار حتى يعبد الناس الله حبًّا فيه»، وتحلله من الشريعة بأخذه لجلال لدور الخمر والبغاء وأمره بشربها.

يهجر (شمس) (جلال)، مرتين لشدة الهجمة عليه من الناس الأولى لشره، ثم يأتي به سلطان ولد والثانية تكون فيها مقتلة ونهايته، هذا يُذكي نار العشق والشوق في قلب جلال؛ فيهرف بالشعر والتغزل في شمس (هذا مما أثار الشكوك حول علاقتهما واتهامهم بالفاحشة)، والخلط بين شخصه وذات الإله، والتوجه إليه كالتوجه إلى الله -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ينشئ كتبه ويصير جلال الدين عاشقًا وفارسًا للعشق الإلهي ومولى العاشقين عبر الزمان من خلال هذه التجربة الروحية المنحرفة، ويُقتل شمس التبريزي اتهامًا بالزندقة، وتظهره الرواية أنه مظلوم.



عقيدة الحلول ظاهرة في الرواية، وتذويب قضايا الكفر، والإيمان، والولاء، والبراء، ومساواة الأديان، ومساواة الكفر بالإيمان، والحق بالباطل

البُعد الفلسفي والعقدي في الرواية

تتمحور الرواية حول إظهار الفكر الصوفي الفلسفي، وأن فيه حقيقة التدين والأخلاق والسعادة والسلام العالمي من الحروب الدينية والسلام النفسي على مستوى الأفراد والشعوب، متجاوزًا حقائق الشرع كلها من الاعتقادات والتحرر من العبادات.

احتقار الشريعة

افتعال الصراع بين الحقيقة والشريعة وانتصار الحقيقة، وازدراء الشريعة واحتقارها مع ازدراء أيضًا حاجة العباد إلى النبوة في تفسيرها مع احتقار من يعلمها ويدرسها ويطبقها، وإظهار حاجة الناس إلى الدراويش الذين هم الأولياء العارفون الحكماء -في زعمهم- دون أهل الظاهر الذين يلتزمون بالأحكام الشرعية الظاهرة.

عقيدة الحلول

عقيدة الحلول ظاهرة في الرواية، وتذويب قضايا الكفر، والإيمان، والولاء، والبراء، ومساواة الأديان، ومساواة الكفر بالإيمان، والحق بالباطل؛ فالحق عنده يتعدد ونسبي، ولا سبيل إلى الوصول إلى الحق المطلق في ديانة، بل ينبغي التحرر من الأديان للوصول إلى الحق المطلق، وهي أن تحب فقط فتصل للعشق الإلهي.

النظرة الجبرية

النظرة الجبرية للكفر والمنكرات، وأن هذا قدر الله على من كفر وعصى وهو يحبه ويرضاه على ذلك، وعدم التفرقة بين المصلح والمفسد، والخلط بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية.

دين الخرافة والأساطير

إنشاء دين الخرافة وإحداثه وابتداعه، والأساطير، والإلهامات، والرؤى، والمنامات، والرقص، والموسيقى، والرقص المولوي بالتنورة والتعبُّد بهذا الخطل، والانعزال عن العالم، والخلطة بالمنكر دون إنكاره، ولو اختلط بالناس لا ينكر عليهم حتى لا يثير اختلافًا وبلبلة، وهذا يرسخ السلبية.

خلاصة القول: إنهم يريدون دينًا مهترئًا، لا ضابط له، ولا أحكام، ولا تكليفات، ولا ثواب فيه، ولا عقاب، وهذا أشبه بالإلحاد!



محنة الإمام المحدث ابن ناصر الدين الدمشقي

أسامة شحادة

هذا الكتاب الجديد للشيخ مشهور حسن، يأتي بعد كتابه عن محنة أبى العز الحنفي، وهي سلسلة تدرس المحن التى تعرض لها محبو شيخ الإسلام ابن تيمية، ولعل غرض الشيخ مشهور من هذه السلسلة هو تبيين السبيل الأنجع للتعامل مع المحنة الحالية والمقبلة للسلفيين في العالم، ويمكن إجمال الخطوط الرئيسية في كتاب محنة ابن ناصر الدين الدمشقي في النقاط التالية:

(١) الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي ألف كتابه (الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر)، للرد على علاء الدين البخاري الذي كفر ابن تيمية، وكفر من لقبه بشيخ الإسلام.



(٢) برغم أن من كفر ابن تيمية حنفي أشعري؛ فإن ابن ناصر الدين فهو شافعي أشعري، وليس حنبلياً، ولا سلفياً وتيمياً!!

(٣) علاء الدين البخاري برغم تعديه على ابن تيمية بالتكفير، إلا أنه في الوقت نفسه كان معاديا لابن عربي الصوفي وكان يكفره أيضا!

(٤) جمع ابن ناصر الدين في كتابه الرد الوافر أقوال ما يزيد عن ٨٠ من العلماء والأئمة، يقرون لابن تيمية بلقب شيخ الإسلام، وزادهم الشيخ مشهور ١٠٠ عالم آخر، من تذكرة طاهر الجزائري التي لخصها من الصارم المغني في الرد على الحصني لابن عبد الهادي، وغالب هؤلاء العلماء أشاعرة وليسوا سلفيين ولا تيميين ولا حنابلة! وهذا يقتضي وقفة تأمل وعبرة لمنهج الغلاة في التبديع ومعاداة المخالفين، وكيف أن المسلم عموما والعلماء خصوصا لا يكون شرا من الوجوه كلها، بل فيهم من الخير والفضل ونصرة الحق الشيء الكثير.

(٥) نبه الشيخ مشهور لضرورة إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين السلفيين والأشاعرة، وعدم ترك ذلك للغلاة والمتهورين والزعران من الطرفين! وأن التعايش بين الطرفين هو الأصل مع المباحثة بالعلم والحق والدليل في مواضع النزاع، وعدم الانجرار للصراعات والصدامات، التي شهدت عبر التاريخ التجاء الأشاعرة للسلطان، لتحجيم السلفيين بالظلم والسجن والترويع، وبالمقابل كان يحدث ردة فعل من بعض شباب ومتحمسي أهل السنة بالعدوان على خصومهم.

(٦) الكذب والافتراء على منهج أهل السنة وابن تيمية خاصة قديم.

ألسنا بحاجة لخطاب صريح معلن واضح لتدارك المحن والفتن في هذا الزمان المحتقن الذي يمتلىء بالدسائس والإشاعات والافتراءات؟ عموما الكتاب مفيد لطالب العلم ومليء بالرسائل فيما بين السطور؛ فتفطن لذلك حين تطالعه.



البعد التربوي للتأديب

كتب: د. علي الزهراني

إن مراعاة التأديب في الحلقات القرآنية، يؤدي إلى عدد من الأبعاد التربوية المهمة نذكرها في هذا المقال.

١- إتقان التلاوة والنطق الصحيح

أثبتت التجارب العملية أن تلاوة القرآن الكريم تساعد كثيراً على النطق الصحيح؛ لأن تكرار التلاوة يؤدي إلى اتقان التلميذ لمخارج الحروف؛ فيثمر اعتياد اللسان على ذلك؛ وبهذا يكتسب التلاميذ الفصاحة في النطق «تكرار القرآن وتلاوته، ترطب اللسان بذكر الله، وتمرنه، وتروضه بالنطق الصحيح، إذا كثر تقليب اللسان، رقت حواشيه، ولانت عذبته، وإذا حبس اللسان عن الاستعمال، اشتدت عليه مخارج الحروف».

٢- التأثر الوجداني

تمتاز تلاوة القرآن بما تحدثه في نفس القارئ والسامع من خشوع وتأثر؛ حيث تتأثر النفس البشرية بسماع القرآن، وتتفاعل معه حتى لو كانت كافرة، وقد جعل هذا البعد التربوي النفسي الإمام الخطابي (ت٣٨٨) أحد وجوه الإعجاز؛ حيث قال: «قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلّا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره بالنفوس»؛ ولذلك كان مجرد سماع التلاوة تقوم به الحجة، فأمر الله الرسول ﷺ أن يتلوه على الكافر المستجير، وأن يسمعوه إياه ليسلم، قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾، نقل السيوطي عن ابن حجر «فلولا أن سماع القرآن حجة عليه لم يقف أمره على سماعه»، وقال -تعالى-: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

قال ابن عباس: «كاد يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصاً على استماع القرآن، وأوصى بعضهم بعضا بالإنصات»؛ ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾، وهذا البعد يمر بثلاث مراحل كما يقول التربويون في مجال التعلم الفعال وهي:

الإحساس بالشيء: وهو قولهم: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾.

الانفعال والتأثر: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ وهو قولهم: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

النزوع السلوكي في قوله: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وهذا الذي نريده من طلابنا في الحلقات، أن يتأثروا وهو حاصل، لكن عليهم أن يطبقوا ماتعلموا .

٣- اكتساب المعرفة التربوية

إن تلاوة القرآن وحفظه، يزود الطلاب بمعلومات ومعارف مهمة؛ لأن هذا القرآن يحوي مجالات العلم المختلفة، العلوم الشرعية على وجه الخصوص، غالبها مشتق من القرآن الكريم، كما قال عبدالله بن مسعود: «من أراد العلم فليثوِّر القرآن؛ فإنه فيه علم الأولين والآخرين»؛ فقال البيهقي موضحاً لكلامه: «أراد به أصول العلم، ومعنى (يثوِّر القرآن) يتأمله، ويتدبره، ويفكر في تفسيره ومعانيه».

وليس المجال هنا بيان المعارف التي يحصل عليها المتعلم لكتاب الله، سواءً من الأحكام، أو الثروة اللغوية التي قال عنها الراغب الأصفهاني في مقدمته مانصه: «إن ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه».

٤- الممارسة السلوكية والتطبيق العملي

إن الحياة في رحاب القرآن تعلماً وتعليمًا ومدارسة، سوف تؤدي إلى الاستقامة والصلاح، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، إن مدارسة القرآن بالمفهوم الشمولي، وعدم الاقتصار على الحفظ، بل مدارسته حفظا، وسلوكاً وعملاً حسب عمر الطفل وقدراته، والوقت المتاح أما العلم سوف يجعل من التلميذ شخصية متزنة متميزة؛ لأن القرآن يحدث في نفوس الدارسين عظة وعبرة، ويكسبهم علماً، وشرفاً، وخلقاً، ويزكي نفوسهم ظاهراً وباطناً، ويحفزهم إلى عمل الطاعات، ويزجرهم عن الاقتراب من المخالفات، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن».

وقال عبدالله بن مسعود أيضاً: «والذي نفسي

إن تلاوة القرآن وحفظه يزود الطلاب بمعلومات ومعارف مهمة؛ لأن هذا القرآن يحوي مجالات العلم المختلفة

التربية على أخلاق القرآن وآدابه من الوسائل التي تساعد على الحفظ؛ فالإخلاص وحسن الصلة بالله هو سر التوفيق

بيده إن حق تلاوته: أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله، ولايحرف الكلم عن مواضعه، ولايتأول منه شيئاً على غير تأويله»، وعندما سئلت عائشة -رضي الله عنها -عن خلق رسول اللهﷺ، قالت: «كان خلقه القرآن».

قال الحافظ موضحاً هذا الخلق: «ومعنى ذلك أن النبيﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً، سجية له، وخلقاً تطبّعه، وترك طبعه الجبلي؛ فمهما أمر القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه».

يقول ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- في شرح قوله -تعالى-: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾، أي يتبعونه والتلاوة يراد بها ثلاثة أمور: (تلاوة لفظية - تلاوة معنوية - تلاوة عملية)، ويقصد بالتلاوة العملية: أي: يؤمن بأخباره، ويقوم بأوامره، ويتجنب نواهيه .

فهذا يعني أن المقصود ليس هو القدرة على الضبط والتجويد والحفظ، بل المقصود الجمع بين الأمرين؛ فالأمة متعبدة بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه، ومتعبدة أيضاً بفهم القرآن والعمل به.

قال الحسن البصري: «أما والله ماهو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله؛ فما أسقط منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله مايرى له القرآن في خلق ولاعمل».

وقال الإمام شهاب الدين المقدس (ت٦٦٥) : «لم يبق لمعظم من طلب القرآن العزيز همة إلّا في قوة حفظه وسرعة سرده، وتحرير النطق بألفاظه، والبحث عن مخارج حروفه، والرغبة في حسن الصوت به، وكل ذلك وإن كان حسناً لكن فوقه ماهو أهم منه وأتم وأولى وأحرى، وهو فهم معانيه والتفكير فيه والعمل بمقتضاه، والوقوف عند حدوده وثمرته خشية الله -تعالى- من حسن تلاوته».

يقول ابن تيمية في قوله -تعالى-: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، أي غير عارفين بمعاني الكتاب، يعلمونه حفظاً وقراءة بلا فهم لايدرون، وقوله: «أماني»، أي تلاوة من لايعلمون فقه الكتاب.

٥- التربية تساعد على الحفظ

إن التربية على أخلاق القرآن وآدابه، من الوسائل التي تساعد على الحفظ؛ فالإخلاص وحسن الصلة بالله هو سر التوفيق والفتح من الله -عز وجل-؛ فتربية هذا المبدأ العظيم في نفس التلميذ، له أثره على حفظ القرآن وإثارة الدوافع لدى التلميذ، وصدق الرغبة في الحفظ من خلال بيان مايثمره حفظ القرآن وتعلمه والعمل به في نفس الطالب، يزيد لديه الرغبة في الحفظ والقاعدة النفسية تؤكد أن قوة الحفظ مرتبط بالدافع إلى الحفظ ومصادرها الدافعية متعددة إدراك المعلم بها وتوظيفها في الحلقة تجعل الطالب يسلك كل وسيلة تقوي هذا الأمر؛ فلو بيّنا له أن اللجوء إلى الله بالدعاء وطلب العون منه، أمر مهم في حفظ القرآن وهو كذلك؛ فإن التلميذ سوف يفعل ذلك رغبة في الحفظ وإشباعاً لذلك؛ فإن الدافع الآخر لديه، يضاف إلى ماسبق أن الفهم الشامل لمعنى الآيات أو المفردات الصعبة والأحكام ولآداب المشتمل عليها القرآن الكريم يؤدي الحفظ المتكامل.

وعليه فالواجب أن نضع برنامجاً تربوياً متكاملاً، يوضح فيه الطرائق العملية والتطبيقات التربوية المساعد على الحفظ، ويختار منها المعلم بالتنسيق مع الجهة المشرفة على الحلقات مايتناسب مع بيئة حلقته القرآنية؛ ليتم لنا تحقيق أفضل الأهداف التربوية لهذه الحلقات القرآنية المباركة.

توصيات مهمة

١- التأديب التربوي في الحلقات القرآنية أصبح ضرورة شرعية في واقعنا المعاصر حتى تتحقق الأهداف التربوية للحلقات القرآنية.

٢- إن زيادة المشكلات السلوكية في الحلقات القرآنية، كانت بسبب غياب التأديب التربوي الذي يعد الوسيلة المناسبة لعلاج المشكلات السلوكية التي بدأت تنتشر في بيئات الحلقات القرآنية، لاسيما تلك السلوكيات المنافية للأخلاق الإسلامية؛ حيث أصبح يمارس بعض الطلاب الذين ينتسبون للحلقات القرآنية ألواناً من السلوك المضاد للمجتمع.

٣- إن الاقتصار على الحفظ في الحلقات القرآنية، ومنع البرامج التربوية المصاحبة التي تساعد على إنجاح الحلقات القرآنية بطريقة تربوية إيجابية، له آثار سلبية على واقع التعليم القرآني، وعلى سلوك التلاميذ.

٤- عناية التربية الإسلامية بالتأديب التربوي على مر العصور، الأمر الذي يجعل الحلقات القرآنية في واقعنا المعاصر مكاناً مناسباً لإحيائه والدعوة إليه للحاجة الماسة للتأديب التربوي في هذا الوقت.

٥- إن الحلقات القرآنية لا تقوم بوظائفها التربوية بطريقة شمولية؛ مما يتطلب ضرورة تشجيع المعلمين للقيام بوظائف الحلقات القرآنية .

٦- حاجة المعلم إلى التدريب والتأهيل التربوي باستمرار حتى يقوموا بواجبهم التربوي والدعوي داخل الحلقات القرآنية.

٧- إن التأديب والتربية على أخلاق القرآن الكريم، يساعد على الحفظ، ويمنع تسرب الطلاب من الحلقات القرآنية.

٨- إن عناية الحلقات القرآنية بالأنشطة التربوية المناسبة مثل: الزيارات والرحلات والمسابقات وغيرها، أحد الوسائل المعينة على الحفظ، والتحلي بأخلاق القرآن .



فتاوى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين - رحمه الله -

حكم الصلاة خلف أتباع الطرق التيجانية

■ **في ولايتنا بالجزائر الأغلبية الساحقة من أتباع الطرق التيجانية، يعادوننا ويخرجوننا من المسجد بطرق غير مباشرة، والسؤال: هل نُصلي معهم أو لا؟ وما صحة الصلاة خلف هؤلاء؟**

● الطريقة التيجانية من طرق الصوفية الذين يغلون في الأولياء ويُفضلونهم على الأنبياء ويدعونهم من دون الله، وهذا من الشرك الذي يُحبط الأعمال، ويُسبب الدخول في النار لمن مات على هذا الشرك، فعلى هذا لا يُصلى خلف هؤلاء الصوفية؛ فلا بد من أن يكون الإمام من أهل التوحيد الذين لا يدعون إلا الله، ويعملون بقوله -تعالى-: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا فإن الأولياء أقل درجة من الأنبياء، وقد قال الله -تعالى- لنبيه -ﷺ-: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾، وقال الله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾، فإذا كان -ﷺ- لا يملك لهم ضرًا ولا رشدا فكيف بالتيجاني والرفاعي والجيلاني ونحوهم؟! فعليكم أن تتخذوا مُصلى يختص بأهل التوحيد ولو أن تجتمعوا في حي من الأحياء تُقيمون فيه مسجدًا، فإن لم يتيسر فلكم أداء الصلاة ولو في بيت أحدكم جماعة حتى تُقبل صلاتكم، ولا يكون فيها شُبهة إذا صليتم خلف أهل البدعة.

الصلاة في البيت

■ **ما حكم الصلاة في البيت إذا لم نسمع الأذان؟**

● لا تجوز الصلاة في البيت إلا لعذر، كبعد المساجد مع عدم وسائل النقل، وكالمريض والخائف على نفسه، ولعذر الدحض في الطريق من آثار المطر، وأما عدم سماع الأذان فلا يكون عذرًا لمن علم الوقت؛ حيث إن المواقيت أصبحت معلومة لغالب الناس لوجود التقاويم المحتوية على أوقات الصلوات بالتحديد الدقيق؛ فإذا كان المسجد قريبًا نحو خمسمائة متر فلا عذر لأحد أن يصلي في المنزل إذا لم يكن معذورًا ولو لم يسمع صوت المؤذن، وقد روي حديث: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ذكره الإمام أحمد ثم قال: «وجار المسجد الذي بينه وبين المسجد أربعون دارًا».

لباس المرأة في بلاد الغرب

■ **ما رأي فضيلتكم.. هل يجوز لمن أراد من المسلمين الدراسة في بلاد غير المسلمين أن يأمر زوجته بأن تكشف وجهها ويديها متذرعًا بأن ذلك من الضرورة وأن بقاءها متحجبة يلفت الانتباه ويسبب المشكلات؟**

● لا يجوز الكشف أمام الأجانب سواء في بلاد المسلمين وفي بلاد غير المسلمين ولو كان ذلك يلفت الأنظار؛ فإن النظر إليها متحجبة لا يضرها وليس فيها مشكلات بل فيه إظهار شعائر الإسلام في بلاد الكفر وفيه مخالفتهم وعدم التشبه بهم؛ فالواجب على من سافر بزوجته إلى بلاد الكفار أن يحجبها في المنزل فلا تخرج إلا لضرورة، وتكون عند خروجها إما راكبة معه أو سائرة إلى جانبه مع التستر الكامل وعدم إبداء شيء من الزينة، ومخالفة الكفار في عاداتهم وخصائصهم أمر مقصود في الإسلام؛ فمن وافقهم في عاداتهم فإنه يخاف عليه الوعيد للحديث من تشبه بقوم فهو منهم، وقد عرف أن المسلم كلما أظهر لباسه الخاص وزي الإسلام كان أدعى إلى احترامه وهيبته في النفوس، ولا عبرة بمن تزيى بزي الكفار معجبًا بهم فإنه ممن يعظمهم ويعظم عاداتهم وأفكارهم والتشبه في الظاهر يجر إلى التشبه في الباطن.

تشريح الحيوانات وهي حية

■ **ما حكم تشريح الحيوانات وهي حية؟**

● لا شك أن هذا تعذيب لهذه الحيوانات، وفي التعذيب ضرر عليها، ولكن إذا كان هناك مصلحة وحاجة شديدة إلى هذه العمليات فلعل ذلك جائز بقدر الحاجة، ولو كان فيه تعذيب أو نحوه؛ حيث إن المصلحة تقتضي القيام بذلك لتحصل المعرفة والاطلاع على داخل تلك الأجساد، فإن وُجد وسيلة غير هذه العملية تقوم مقامها عُدل عنها أو إلى ما هو أخف ضررًا.

قطع النافلة لإدراك صلاة الجنازة

■ إذا كنت في صلاة نافلة ونودي للصلاة على ميت فهل أقطع النافلة لأصلي على الميت أم أتم النافلة؟

● إذا كنت في آخر النافلة بحيث لم يبقَ إلا آخر ركعة والتشهد فعليك أن تخفف النافلة حتى تدرك الصلاة على الجنازة، أما إذا كنت في أول النافلة فالأولى قطعها حتى تدرك صلاة الجنازة؛ لأنها تفوت برفعها، وفي إمكانك قضاء النافلة بعد الفراغ من الصلاة على الجنازة.

كتابة القرآن بغير الأحرف العربية

■ ما حكم كتابة القرآن بغير الأحرف العربية تسهيلا على غير الناطقين باللغة العربية، كذلك مرفق صورة نموذجا؟

● لا يجوز ترجمة ألفاظ القرآن بغير العربية، وأما ترجمة معانيه: فلا بأس بذلك سواءً كتبت بالأحرف العربية أم الأعجمية، وأما كتابة كلمات العربية بأحرفٍ غير عربية: فنرى أنه لا بأس بذلك بشرط ألا تغير الكلمات ولا ينطق بها بغير لفظ العربي، ولا بد أن يتعود الطلاب على النطق بالحروف العربية حتى لا يقلبوا شيئًا من المعاني؛ كالذين ينطقون الحاء هاءً أو لا يفرقون بين الصاد والسين فلا يجوز إقرارهم على ذلك إلا إذا ترجمت المعاني بلغة غير العربية وأحرفٍ غير العربية.

ترك العمل خوفا من الرياء

■ من أراد أن يعمل عملا وتركه خوفا من الرياء والسمعة؟

●على المسلم -ذكرًا كان أم أنثى- أن يتشبه بالصالحين في كثرة الأعمال الصالحة، ونوافل العبادات، كقيام الليل- ولو شيئًا قليلًا- كساعة من أول الليل، أو من آخره، أو نصفها، وكصيام التطوع- ولو ثلاثة أيام من كل شهر- وكأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم، ولا يَرُدُّ عن هذه الأعمال الخوف أن يكون ذلك رياءً وسُمعة، فمتى أخلص الإنسان عمله بينه وبين الله، فلا يضره ما يجول في قلبه، وما يُلقيه الشيطان من أنه يُرائي، مع أن عليه أن يحرص على إخفاء العمل بقدر المُستطاع، وإذا اطَّلع عليه أحد فلا يكون ذلك سببًا في تحسين العمل، أو التمدُّح به، ولا يضره مَنْ مَدَحَ أَوْ قَدَحَ، ويكون عمله أمام الناس كعمله إذا كان خاليًا. وهكذا لا يرده عن العمل خوف الانقطاع؛ فإن الإنسان قد يعرض له ما يعوقه عن الاستمرار في الأعمال الصالحة، فيترك الصيام أحيانًا، ويترك التهجد لعارض أو لنسيان أو انشغال، مع عزمه أنه إذا زال العارض عاد إلى ما كان عليه من العمل الصالح. ونوصي بالاستمرار والمُداومة على الأعمال الصالحة؛ فقد ورد في الحديث أن أحب الأعمال الصالحة ما داوم عليه صاحبه، وإن قلَّ، ونوصي أيضًا بعدم تكليف النفس، وركوب المشقات والصعوبات، حتى لا تستثقلَ النفس هذه العبادات، وفي الحديث: ليُصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا تعب فليرقد.

ترك الجماعة بسبب الطعام

■ رجل لا يحضر من أعماله إلا قبيل صلاة العصر، وعندما يحضر ويطلب الغذاء يكون جائعًا، ويؤدي صلاة العصر، وقد تفوته الصلاة مع الجماعة، فما الحكم؟ وما حكم من أخر وقتًا من أوقات الصلاة حتى خروج وقتها؟

● في هذه الأزمنة، أرى أن الجوع الشديد لا يوجد كما كان من قبل، فلا يكون الأكل عذرًا في تأخير الصلاة مع الجماعة، بخلاف ما كانت عليه الحال قبل ستين عامًا، وما عليه الحال في كثير من البلاد التي تلاقي الفقر والفاقة، وقد مستهم البأساء والضراء؛ فقد كانوا يعملون طوال النهار في الحفر ونقل التراب، وصعود المرتفعات كالنخيل والجبال والمشي على الأقدام خمس أو ست ساعات متوالية دون استراحة؛ ففي تلك الأزمنة يشتاقون إلى الطعام، وينشغلون في الصلاة بالحديث عنه، لذلك ورد الحديث بقوله -ﷺ-: لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان. فأما الآن: فالغالب أن العامل يتناول الأكل أول النهار بما يسمى فطورًا، وفي العمل يُجعل له كرسي ولا يزاوله إلا نادرًا، وفي الذهاب والإياب يمتطي سيارة مريحة، لا يحس مع الركوب بتعب ولا جوع، فأرى أن عليه أن يبدأ بالصلاة مع الجماعة إن خشي أن تفوته الصلاة، فإن قُدِّر أن اشتد به الجوع، وخاف إن ذهب للصلاة أن ينشغل قلبه في صلاته أو كان الطعام قليلًا وخشي أن يأكله أهله ويبيت هو طاويًا، فله أن يُؤَخِّر الصلاة ولو فاتته الجماعة، ولا يجوز تعمد تأخير الصلاة عن وقتها أو عن جماعتها بلا عذر مسوغ.

أوراق صحفية

عودة ودعوة وموت الظلمات

بقلم: سالم الناشي

رئيس تحرير مجلة الفرقان

لندن ٢٠١٩/٧/٨م

● يضرب الله مثلا لرجلين: (الأول) كان في الضلالة ثم هداه الله، وبدأ ينشر ما عنده من العلم للناس كافة، و(الآخر) بقي في الضلالة لا يستطيع أن يخرج منها ويظن أنه على حق! فيقول -تعالى- في الآية ١٢٢ من سورة الأنعام واصفا هذا المثال بقوله -سبحانه-: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

● فوصف الله الضال كالميت (أومن كان ميتا)، والموت حالة توقف الكائنات الحية نهائيا عن النمو والنشاطات الوظيفية الحيوية (مثل التنفس والأكل والشرب والتفكير والحركة و...). و(طبيا) هناك (الموت السريري): وهو حالة الانعدام الفجائي للتنفس والوعي ودوران الدم في الأوعية الدموية. و(الموت البيولوجي/ الدماغي): وهو حالة انعدام وظائف النخاع الشوكي والدماغ وجذعه انعداما كاملا ونهائيا. وقيل الموت عبارة عن خروج الروح من جسم الإنسان والانتقال إلى مرحلة الحياة الأخرى.

● فالضال منقطع الصلة بالله نهائيا؛ فكل سكناته وحركاته في غير مرضاة الله؛ فهو ينتقل من ظلمة إلى ظلمة أشد، ويظن أنه على خير! والهداية عكس ذلك تماما؛ فهي حياة القلب بالإيمان والسعادة والتوفيق في الدنيا والآخرة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) الأنعام. وبهذا تكون حياة المسلم من عبادات وأعمال وبر وطاعات كالصلاة والأضحية في حياته ومماته - أي ما أوصى به بعد وفاته - هي كلها لله- سبحانه وتعالى.

● وامتن الله على هذا المهتدي بأن جعل له نورا ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، وهذا النور هو الإسلام؛ فهو قائم به في نفسه، وداع فيه إلى غيره، أو هو القرآن المعين الصافي الذي به يعرف الطريق المستقيم والعمل الصحيح. قال -تعالى- واصفا المؤمنين: ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ (الحديد:١٢).

● ثم قال -تعالى- واصفا حالة الذي بقي في الضلالة ولا يستطيع أن يخرج منها، ويظن أنه على حق! ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: لا يهتدي إلى منفذ، ولا مخلص له مما هو فيه، قال -تعالى-: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧). وكما قال -تعالى-: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: ٢٢)، وقال -تعالى-: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (فاطر). وقوله -تعالى-: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: حسّن لهم ما هم فيه من الجهالة والضلالة، قدرا من الله وحكمة بالغة، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

● ووجه المناسبة في ضرب المثلين هاهنا بالنور والظلمات ما تقدم في أول السورة من قوله -تعالى-: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١).